" تاريخ تدوين السنة النبوية "

"والتعريف على أشهر أنواع كتب السنة "

(تلخيص) لرسالة فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن مطر الزهراني رحمه الله

الأستاذ بكلية الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية سابقا .

عمل

محمد بن عبدالكريم بن حسن الإسحاقي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فهذه نبذٌ يسيرة من جهود تلك الأجيال المتعاقبة من سلفنا الصالح المذكور وصفهم آنفاً، الذين بذلوا كل جهد وكل غالٍ ونفيس في سبيل خدمة السُّنَّة المطهَّرة وحفظها وتدوينها ونقلها إلى الأمة.

جمعت هذه النبذ من مصادر شتَّى، وألَّفت بينها مع شيء يسير من التعليق والربط والتعريف بتلك الجهود، ليكون مرجعاً بيد الطلبة في العاجل على أن يعود إلى مصادره الأصلية في الآجل.

فرتَّبته وهذَّبته وسمَّيته: تدوين السُّنَّة النبوية نشأته وتطوره من القرن الهجري الأول إلى نهاية القرن الهجري التاسع.

وأحب أن **أنبِّه على الأمور التالية**:

١- أن **سبب اقتصاري على القرون التسعة الأولى** هو أنه لم يعد في العصور التالية لها تجديد ولا ابتكار، وما كان من جهود في خدمة السُّنَّة بعد ذلك إنما هو بمثابة تكرار لجهود السابقين أو خدمة لها بالشروح والتلخيصات والتعليقات ونحو ذلك.

٢- أنه كانت هناك جهود مخلصة ومباركة لعلماء الهند بعد القرن التاسع لخدمة السُّنَّة وذلك من خلال عنايتهم بكتب السلف، روايةً وسماعاً وشرحاً وتعليقاً ونحو ذلك، وعلى رأس تلك الكتب التي اعتنوا بها الكتب الستة، وكذلك من خلال التصنيف في علوم الحديث المختلفة وغير ذلك من المجالات مما لا يتسع المقام لبسطه.

٣- عاد للحرمين شيء من مكانتهما العلمية بعد القرن التاسع، وذلك بعد أن فقدت تلك المكانة منذ القرن الثالث الهجري تقريباً، وذلك بسبب تسلط الروافض في هذين البلدين على الولاية والمنبر.

إذ بعد دخول العثمانيين أرض الشام ومصر والحجاز كان لهم جهودٌ مشكورةٌ في قمع الروافض في الحجاز وفي غيره من ديار الإسلام، كما كان لأسلافهم التركمان والسلاجقة مثل ذلك الموقف مع الروافض والباطنيين في زمانهم.

وكان ممن له جهود في خدمة السُّنَّة فيما بعد القرن العاشر الهجري كل من: عبد الرؤف المناوي (ت ١٠٣١ هـ) وعلي القاري (ت ١٠١٤ هـ) ، ومحمد عبد الهادي السندي (ت ١١٣٨ هـ) وغيرهم.

٤- قامت في جزيرة العرب نهضة علمية سلفيَّة على منهاج أهل السُّنَّة والجماعة مستنيرة بجهود مدرسة شيخ الإسلام الحافظ أبي العباس ابن تيمية وتلاميذه، وذلك على يد شيخ الإسلام الإمام المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه وأحفاده منذ القرن الثاني عشر الهجري، ومازلنا نعيش بفضل الله على آثار تلك النهضة السلفيَّة المباركة، والتي أعادت لأهل السُّنَّة مكانتهم ورفعت رؤوسهم بعد أن طغت البدع وانتفش أصحابها على أهل السُّنَّة في الأعصار المتأخرة.

٥- كان لكل من الشيخ أحمد بن محمد بن شاكر- رحمه الله - والشيخ محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله- جهود طيبة ومفيدة في هذا القرن في خدمة السُّنَّة وعلومها تحقيقاً وتخريجاً وغير ذلك.

٦- أن من كَتَبَ في التدوين وما يتعلق به اقتصروا على الكلام عن ذلك في القرن الأول وبعضهم توسع قليلاً إلى القرن الثالث مع الاختصار في ذلك، وأكثر من توسع في هذا فيما اطلعت عليه: الشيخ أبو زهو في كتابه "الحديث والمحدثون"، لكن كتاب الشيخ محمد مطر رحمه الله أوسع وأشمل. وأسأل الله التوفيق والسَّداد لما يحبه ويرضاه.

تمهيد

قبل أن أشرع في بيان أبواب وفصول هذا الكتاب أحب أن أمهِّد بين يدي أبحاثه وموضوعاته بـشرح عنوانه:
فالتدوين في اللغة: تقييد المتفرق وجمع المتشتت في ديوان؛ ومنه جمع الصحف في كتاب، وهو فارسي معرَّب.
وفي الاصطلاح: يستعمل التدوين بمعنى التصنيف والتأليف.

السنة لغة واصطلاحا:

أما السُّنَّة في اللغة: فهي السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة.
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من سنَّ في الاسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً".
ومنه قول خالد بن زهير الهذلي:

فلا تجزعن من سُنَّةٍ أنت سرتها....فأول راضٍ سُنَّةً من يسيرها

ومن معانيها في اللغة أيضاً: حسن الرعاية والقيام على الشيء، وذلك من قول العرب: "سنَّ الرجل إبله إذا أحسن رعايتها والقيام عليها".
وفي الاصطلاح: تطلق السُّنَّة ويراد بها عدة اصطلاحات: -
١- قال ابن منظور: "وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنَّة وما تصرف منها والأصل فيه: الطريقة والسيرة، وإذا أطلقت في الشرع، فإنما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسُّنَّة، أي القرآن والحديث".
٢- وقال الإمام الشاطبي: "ويطلق لفظ السُّنَّة أيضاً في مقابلة البدعة، فيقال: فلان على سُنَّةٍ، إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال: فلان على بدعةٍ، إذا عمل على خلاف ذلك".

ثم قال أيضاً: "ويطلق لفظ السُّنَّة على ما عمل عليه الصحابة، وُجد ذلك في الكتاب أو لم يوجد، لكونه اتِّباعاً لسُنَّةٍ ثبتت عندهم لم تُنقل إلينا أو اجتهاداً مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم لقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديين".

وبعد أن استقرت المصطلحات، وقُعّدت العلوم الاسلامية، أصبح للفظ السُّنَّة مفهومات ومصطلحات جديدة منها:

١- ما يذكره المحدثون في كتبهم: "كل ما أُثِر عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ".

٢- ما يذكره علماء أصول الفقه: "كل ما صدر عن النَّبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ مما يصلح أن يكون دليلاً لحكمٍ شرعي".

٣- ما يذكره الفقهاء في كتبهم: "ما في فعله ثوابٌ وفي تركه ملامةٌ وعتابٌ لا عقاب". أو: "ما أمر به أمراً غير جازم".

مكانة السنة في الإسلام وعناية السلف بها

السُّنَّة بالمعنى الذي مرَّ ذكره في التمهيد "ما أضيف إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ" هى أحد قسمي الوحي الإلهي الذي أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقسم الآخر من الوحي هو القرآن الكريم الذي هو كلام الله ربِّ العالمين، مُنَزَّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. وقد جاءت النصوص من القرآن والسُّنَّة وإجماع السلف مصرحة بذلك.

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ

وقوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ.

وقوله تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ

وقوله تعالى: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ

وقوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ.

وقوله عز وجل: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ.

وهناك آياتٌ كثيرة في الحثِّ على اتباع السُّنَّة ووجوب لزومها وتحريم مخالفتها، ولا يتسع المقام لسردها كلها هنا.

ومن السُّنَّة:

١- عن أبي رافعٍ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمرٌ مما أَمرتُ به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه".

٢- وعن المقدام بن معديكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه، ألا وإن ما حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرَّم الله".

٣- وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعلَّ أحدكم يأتيه حديثٌ من حديثي وهو متكئٌ على أريكته فيقول: دعونا من هذا، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه".

٤- وعن العرباض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة".

ومن أقوال السلف في مكانة السنة:

١- عن الحسن البصري أن عمران بن الحصين كان جالساً ومعه أصحابه فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال: فقال له: ادن فدنا، فقال: "أرأيت لو وُكِلتَ أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تَجِدُ فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين؟ أرأيت لو وُكِلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تَجد الطواف سبعاً، والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أيْ قوم خذوا عنَّا، فإنَّكم والله إن لا تفعلوا لتضِلُّنَّ".

٢- عن محمد بن كثير، عن الأوزاعى، عن حسان بن عطية قال: "كان جبريل ينزل على النَّبي صلى الله عليه وسلم بالسُّنَّة كما ينزل عليه بالقرآن".

٣- قال الأوزاعي، ومكحول، ويحيى بن أبي كثير وغيرهم: "القرآن أحوج إلى السُّنَّة من السُّنَّة إلى الكتاب، والسُّنَّة قاضيةٌ على الكتاب، وليس الكتاب قاضياً على السُّنَّة".

٤- وقال الفضل بن زياد: "سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل – وسئل عن الحديث الذي روي أن السُّنَّة قاضيةٌ على الكتاب فقال –: ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكنّ السُّنَّةَ تفسر الكتاب، وتُعرّف الكتاب وتبيِّنُه".

٥- قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البرّ: "البيان منه صلى الله عليه وسلم على ضربين:

الأول: بيان المجمل في الكتاب العزيز كالصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه للزكاة وحدِّها ووقتها وما الذي تؤخذ منه الأموال، وبيان مناسك الحج، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ حجّ الناس: "خذوا عني مناسككم". [وهو المسمّى بالشرع البيانيّ].

الثاني: زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وكتحريم الحُمُر الأهليّة، وكلّ ذي نابٍ من السباع إلى أشياء يطول ذكرها.

وقد أمر الله – عز وجل – بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملاً لم يُقيَّد بشيءٍ كما أمرنا باتِّباع كتاب الله، ولم يقل ما وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ. [وهو المسمّى بالشرع الابتدائيّ].

الفصل الثاني: عناية السلف بالسُّنَّة

تنوعت عناية السلف – رحمهم الله تعالى – بالسُّنَّة المطهرة، وذلك حسب الإمكانات والوسائل المتاحة في كل عصر، ولذلك نلاحظ أنهم يبذلون غاية الجهد وكافة الإمكانات ومختلف الوسائل في العناية بالسُّنَّة علماً وعملاً، حفظاً وكتابة، ودراسة ونشراً بين الأمة . وسأذكر نماذج من تلك العناية مراعياً ترتيب العصور تاريخياً ومقتصراً على القرون المفضّلة التي تنتهي بنهاية القرن الثالث الهجري عصر ازدهار تدوين السُّنَّة وعلومها.

أولاً: العناية بالسُّنَّة في عصر الصحابة:

كان الصحابة رضوان الله عليهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفيدون أحكام الشريعة من القرآن الكريم الذي يتلقونه عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكثيراً ما كانت تنزل آيات من القرآن الكريم مجملة غير مفصلة، أو مطلقة غير مقيدة كالأمر بالصلاة جاء مجملاً لم يبيّن في القرآن عدد ركعاتها ولا هيئتها ولا أوقاتها، وكالأمر بالزكاة جاء مطلقاً لم يقدر بالحد الأدنى الذي تجب فيه الزكاة ولم يبين مقاديرها ولا شروطها.

وكذلك كثيرٌ من الأحكام التي لا يمكن العمل بها دون الوقوف على شرح ما يتصل بها من شروط وأركان، فكان لا بد لهم من الرجوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعرفة الأحكام معرفة تفصيلية.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبلِّغ عن ربّه وأدرى الخلق بمقاصد شريعة الله – عز وجل – وحدودها ومراميها.

وقد أخبر الله في كتابه الكريم عن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للقرآن أنه مبيِّنٌ له، وموضحٌ لمراميه وآياته حيث يقول تعالى: **چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ**.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يلتزمون حدود أمره ونهيه، ويقتدون به صلى الله عليه وسلم في كل أعماله وعباداته ومعاملاته – إلا ما علموا منه أنه خاص به – فكانوا يتعلمون منه أحكام الصلاة وأركانها وهيئتها أخذاً بقوله صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي".

ويأخذون عنه مناسك الحج وشعائره امتثالاً لأمره صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني مناسككم".

وقد بَلَغَ من اقتدائهم به أنْ كانوا يفعلون ما يفعل، ويتركون ما يترك دون أن يعلموا لذلك سبباً، أو يسألوه عن علَّته أو حكمته.

وأخرج البخاري عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: "اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، ثم نبذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إني لن ألبَسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم".

وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذْ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال: ما حملكم على إلقاء نعالكم قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيهما قذراً، أو قال: أذى".

هكذا كانت عناية خير القرون – رضوان الله عليهم – بالسُنَّة المطهَّرة في حياته صلى الله عليه وسلم اقتداءاً تاماً به ووقوفاً عند حدود أمره ونهيه، وتسليماً كاملاً لحكمه، والتزاماً دقيقاً بهديه، وحرصاً شديداً على تعلم سنَّتِهِ صلى الله عليه وسلم.

أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فإننا نجدهم رضي الله عنهم – إضافة إلى ما سبق ذكره – يسلكون مجالات أخرى للعناية بسُنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم والحفاظ عليها، من ذلك:

أولا: حفظها والتثبُّت من ذلك حتى كان أحدهم يرحل في الحديث الواحد مسافة شهر ليتثبَّت من حفظه.

ثانيا: كذلك كتابتها في الصحف والأجزاء، ثم نشرها بين الناس وغير ذلك من المجالات.

كل ذلك وفق منهج عملي وعلمي يمكن الإشارة إلى أهم ملامحه فيما يلي:

استشعر الصحابة الكرام رضي الله عنهم عظم المسؤلية الملقاة على عواتقهم لحفظ الشريعة – كتاباً وسنةً – وتطبيقها، ثم تبليغها إلى الأمة أداءاً للأمانة التي اختيروا لها كما أدَّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم. وقد كانوا رضي الله عنهم خير من حمل هذه الأمانة وخير من أدَّاها بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الاستشعار لعظم المسؤلية منطلقاً مما وعَوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل قوله: "بلغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

ثانياً: العناية بالسُّنَّة المطهَّرة في عصر التابعين فمن بعدهم.

ما كاد عصر الصحابة ينقضي ليبدأ عصر التابعين حتى بدأ بزوغ شمس الفتن والأهواء والبدع، وذلك أن أعداء الاسلام من يهودٍ ونصارى ومجوس وصابئة وفلاسفة شرقوا بهذا الدين الذي حمله هؤلاء الصحابة الكرام إلى الناس كافة، كما ضاق هولاء الأعداء ذرعاً بتلك الإنتصارات العظيمة التي حققها الإسلام وذلك الانتشار السريع في أنحاء الأرض، ولما لم تُجْدِهم المقاومة العسكرية لهذا المد الإسلامى شيئاً رام هؤلاء الأعداء: المكر والكيد لهذا الدين وأهله، فأخذوا يثيرون الفتن والشكوك والشبهات بين المسلمين وخاصة حديثي العهد بالكفر.

وعند انتشار هذه الفتن والبدع والأهواء سلكت الأجيال التالية لجيل الصحابة الأخيار من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم من أهل القرون المفضَّلة طرقاً ومجالات أخرى لحفظ السُّنَّة والعناية بها حسب الإمكانات والوسائل المتوفرة لهم في تلك العصور.

وقد تمثلت تلك المجالات في:

١-الحرص على تعليمها وتبليغ بعضهم بعضا إياها.

٢-اتباعها والتمسك بها والمسارعة إلى الامتثال بما جاء فيها.

٣-الإنكار على من خالفها أو تهاون بها.

٤-الرحلة في طلب الحديث وسيأتي لها مبحث خاص إن شاء الله.

٥-والسؤال عن الإسناد.

٦ - والبحث في أحوال الرجال ونقلة الأخبار الذي نتج عنه علم الرجال الذى أصبح ميزة هذه الأمَّة المسلمة عن غيرها من الأمم.

٧- وتدوين السُّنَّة الذي بدأ بصحفٍ وأجزاء ثم تطور إلى مصنَّفات مبوَّبة ومرتَّبة إما على الأبواب كالكتب الستة والموطأ وغيرها، وإما على المسانيد كمسند أحمد وغيره، وغير ذلك من المجالات.

الرحلة في طلب الحديث:

سبق أن السُّنَّة وحي من الله وأنها المبيِّنة لما أشكل من كتاب الله، فلما كانت للسنَّة هذه المكانة أولاها السلف غاية اهتمامهم، وبذلوا من أجل جمع الحديث وأسانيده كل ما في وسعهم، حتى رحلوا المسافات البعيدة على بعد الشُّقَّة وعِظَم المشَقَّة طلباً للحديث وبحثاً عن أسانيده وذلك امتثالاً لقوله تعالى: چ □ □ □ □

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى چ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة".

وقد كانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي، قال الحافظ ابن

الصلاح: "وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره".
ورُوِّينا عن يحيى بن معين أنه قال: أربعة لا تؤنس منهم رشداً: حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابن المحدِّث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث.
وَرُوِّينا عن أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – أنه قيل له: أيرحل الرجل في طلب العلو فقال: بلى والله شديداً، لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه.
وعن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه قال: إن الله تعالى يدفع البلاء عن هذه الأمَّة برحلة أصحاب الحديث.
والأصل في ذلك رحلة نبي الله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام إلى الخضر وقد قصَّها الله علينا في سورة الكهف.
وبدأت الرحلة في الإسلام برحلة تلك الوفود من القبائل العربية التي كانت تَفِدُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنحاء الجزيرة العربية تبايعه على الإسلام، وتتعلم منه ما جاء به من الوحي كتاباً وسنَّة.
ثم اهتمَّ بها الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تفرق الصحابة في الأمصار بعد الفتوحات، فرحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أُنيس في الشام واستغرق شهراً ليسمع منه حديثاً واحداً لم يبق أحدٌ يحفظه غير ابن أنيس.
ورحل أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر بمصر، فلما لقيه قال: حدِّثنا ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستر المسلم لم يبق أحدٌ سمعه غيري وغيرك، فلما حدَّثه ركب أبو أيوب راحلته وانصرف عائداً إلى المدينة ولم يحلّ رحله.
وقد استمرت الرحلة في جيل التابعين حيث تفرق الصحابة في الأمصار بعد الفتوحات يحملون معهم ميراث النبوة، وما كان يتيسر للرجل أن يحيط علماً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الرحلة إلى الأمصار وملاحقة الصحابة المتفرقين فيها.
قال الإمام سعيد بن المسيب سيد التابعين: "إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام".

أسباب الرحلة في طلب العلم:

للرحلة في طلب العلم أسباب كثيرة من أهمها:
١- في جيل الصحابة كانت لسماع حديثٍ لم يسمعه الصحابي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو للتثبُّت من حديثٍ يحفظه الصحابي وليس في بلده من يحفظه، فيشد الرحال إلى من يحفظه ولو كان على مسيرة شهر.
٢- أما في التابعين فذلك بسبب تفرق الصحابة في الأمصار وكلٌّ منهم يحمل علماً من ميراث النبوة، فاحتيج إلى علمهم فرُحِل إليهم.

٣- ظهرت أسباب أخرى فيما بعد هذين الجيلين من تلك الأسباب:

ظهور الوضع في الحديث حيث كَثر أصحاب الأهواء الذين انتحلوا أحاديث تؤيد أهواءهم ونسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فنشط العلماء في الرحلة للتحقُّق من تلك الأحاديث ومعرفة مصادرها ومخارجها.

طلب الإسناد العالي فيُرحَل لأجله كما قال الإمام أحمد: "طلب الإسناد العالي سُنَّة عمن سلف".

الفصل الثالث: أصحاب الأهواء والفرق وموقفهم من حجية السُنَّة:

إن أعداء الإسلام من الطوائف والأمم التي قضى عليها الإسلام ونسخ دياناتهم، لم يهدأ لهم بال ولم يقِرّ لهم قرارٌ منذ رأوا ذلك الانتشار السريع للإسلام، وذلك الإقبال الشديد عليه من أبناء شعوبهم، لذلك شرعوا في الكيد والمكر لهذا الدين وأهله.

وقد تركزت جهود هؤلاء الأعداء في محاربة السُنَّة في النقاط التالية:

١- ردّ السُنَّة بمجرد عقولهم.

٢- الطعن في رواتها بالهوى.

٣- وضع أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلصاقها بالسُنَّة، وهذه الأحاديث إما تناقض السُنَّة نفسها، أو تناقض المعقول أو المعلوم بالضرورة، وذلك ليُعَادَ باللائمة على السُنَّة أو رواتها وهما بَرَاءٌ من ذلك.

وقد تنوع رفض السُنَّة بمجرد العقل إلى:

١- الرد المطلق.

٢- رد خبر الآحاد.

٣- ويمكن أن يلحق برد خبر الآحاد، رد الزيادة على النص باعتبار أن السبب في ردّها لكونها خبر آحاد.

الباب الثاني: تدوين السنة في القرنين الأول والثاني الهجريين
الفصل الأول: التدوين في القرن الأول

أولاً: تدوين السُّنَّة بدأ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

أ-الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة الحديث:

لم يصح منها شيءٌ سوى حديث أبي سعيد الخدري: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليَمْحُه". الحديث الذي أخرجه مسلم مرفوعاً ، وقد أعلَّه أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله البخاري وغيره بالوقف على أبي سعيد رضي الله عنه.

ب-آراء العلماء في سبب النهي:

١- أن يكون من منسوخ السنة بالسنة، أي أنه نهي عن كتابة الحديث في أول الأمر خشية التباس القرآن بغيره، وبهذا قال ابن قتيبة، والرامهرمزي، والخطابي وغيرهم.

٢- أن يكون النهي مُنْصَبّاً على كتابة القرآن مع غيره في صحيفةٍ واحدة، وذهب إلى ذلك الخطابي، والخطيب البغدادي وغيرهما.

٣- وقيل: النهي خاص بمن خُشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أمن منه ذلك، وذكره الخطيب في "تقييد العلم" وهناك أقوالٌ أخرى هذه أشهرها وأوجهها.

وجمع السيوطي رحمه الله تعالى في "ألفيته" الشهيرة هذه الأوجه فقال:

كِتَابَــةُ الْحَــدِيثِ فِيــهِ اخْتُلِفَــا ... ثُمَّ الْجَــوَازُ بَعْدُ إِجْمَاعًا وَفَى
مُسْـتَنَدُ الْمَنْـعِ حَـدِيثُ مُسْـلِمِ : ... "لا تَكْتُبُوا عَنِّيَ" فَالْخُلْـفُ نُمِي
فَبَعْضُــهُمْ أَعَلَّــهُ بِــالْوَقْفِ ... وَآخَـرُونَ عَـلَّلُوا بِالْخَـوْفِ
مِـنِ اخْـتِلاطٍ بِـالْقُرَانِ فَانْتَسَـخْ ... لأَمْنِهِ ، وَقِيلَ : ذَا لِمَنْ نَسَـخْ
الـكُلَّ فِي صَحِيفَةٍ ، وَقِيلَ : بَـلْ ... لآمِنٍ نِسْيَانَهُ ، لا ذِي خَـلَلْ

ج - الأحاديث والآثار الواردة في الإذن بكتابة العلم: -

ورد مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقد أورد فيه روايات كثيرة منها الصحيح مثل:

١- حديث أبي هريرة: "ما من الصحابة أحدٌ أكثر حديثاً مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه يكتب وأنا لا أكتب". ولا يتعارض هذا أن أبا هريرة حافظ الصحابة بل يحمل كلامه هذا على ظنه، أو أن عبدالله بن عمرو لم يتفرغ لرواية ما تحمله من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- وعنه أيضاً قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة إلى أن قال: "اكتبوا لأبي شاة".

٣- حديث ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه: "ائتوني بكتابٍ أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده".

٤- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق".

أما عن سبب اتساع الناس في كَتْب العلم في عصر ما بعد التابعين واتّكالهم على الكتاب فيقول الخطيب رحمه الله: "إنما اتسع الناس في كَتْب العلم، وعوَّلوا على تدوينه في الصحف بعد الكراهة لذلك؛ لأن الروايات انتشرت والمسانيد طالت، وأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت، والعبارات بالألفاظ اختلفت، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا، وصار علم الحديث في هذا الزمان أثبت من علم الحافظ مع رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ضعف حفظه في الكتاب، وعمل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين بذلك".
قاله الخطيب رحمه الله في "تقييد العلم".

ميزات كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي رحمه الله:

١- فهو أقدم وأوسع وأشمل كتاب في هذا الباب إذ لم يسبق مؤلفه إلى جمع مثله إلا أن معاصره الحافظ ابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ) حاول نفس المحاولة في "جامع بيان العلم" لكن لم يكن بسعة كتاب الخطيب وشموله فضلاً عن تفوق كتاب الخطيب على كتابه في جودة الترتيب وحسن التنسيق!.

٢- أن النتائج التي توصل إليها الخطيب – رحمه الله – من خلال جمعه ودراسته لما رُوي في هذا الموضوع نتائج هامة ".

أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا الكتاب:

أولاً: أنه لم يصح حديث في النهي عن كتابة الحديث سوى حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم، مع اختلاف بين البخاري ومسلم في رفعه ووقفه.

ثانياً: أن الأمر استقر في حياته صلى الله عليه وسلم على إباحة الكتابة، وقد قدَّم المؤلف –الخطيب- عدة أدلة على ذلك، بل ذكر أدلة من الكتاب والسُّنَّة على الحث على الكتابة.

ثالثاً: أن التدوين بمعناه الواسع – وهو الجمع – قد بدأ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: أن امتناع من امتنع من الصحابة والتابعين عن كتابة الحديث ليس للنهي الوارد في حديث أبي سعيد الخدري، ولكن هذا الامتناع معلَّلٌ بأسبابٍ أخرى منها: –

الخوف من انكباب الناس على الكتب وانشغالهم بها عن القرآن، وقد أورد الخطيب عن السلف النصوص الكثيرة المصرحة بذلك.

ومنها الحفاظ على ملكة الحفظ عند المسلمين إذ الاتكال على الكتاب يضعفها، ولذلك كان بعضهم يكتب ثم يمحو ما كتب، ولو كان النهي عن الكتابة مستقراً عندهم لما كتبوا ابتداءً.

التفريق بين معنى التدوين ومعنى التصنيف

فالتدوين: هو تقييد المتفرق المشتت، وجمعه في ديوان أو كتاب تجمع فيه الصحف، قال في "القاموس": "التدوين مجتمع الصحف".

وقال في "تاج العروس": "وقد دوَّنه تدويناً جمعه" ، فهو بهذا المعنى أوسع من التقييد بمعناه المحدود.

أما التصنيف: فهو أدق من التدوين إذ هو ترتيب ما دُوِّنَ في فصول محدودة وأبواب مميزة. قال في "التاج": "وصنفه تصنيفاً جعله أصنافاً وميز بعضها عن بعض، وقال الزمخشري في "الفائق": "ومنه تصنيف الكتب".

ثانياً: جهود الصحابة رضي الله عنهم في تدوين السُّنَّة المطهَّرة ونقلها إلى الأمَّة.

لقد كانت جهود هذا الجيل المبارك هي الأساس الأول في تدوين السُّنَّة وحفظها ونقلها إلى الأمة، كما كانت جهودهم – رضوان الله عنهم – هى الأساس في نشر الدين وترسيخ العقيدة وحماية السُّنَّة من كل مايشوبها.

وفيما يلي نماذج من تلك الجهود، وأكتفي بالنماذج لأن المقام هنا لا يتسع لأكثر من هذه النماذج:

١– **الحث على حفظ الحديث** وتثبيت ذلك الحفظ، حتى كان كثير منهم يأمر تلاميذه بالكتابة لتثبيت حفظهم ثم محو ما كتبوه حتى لا يتكل على الكتاب.

٢– **الكتابة بالسُّنَّة** بعضهم إلى بعض، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ– كتب أُسيد بن حضير الأنصاري رضي الله عنه بعض الأحاديث النبوية، وقضاء أبي بكر وعمر وعثمان،

وأرسله إلى مروان بن الحكم.

ب- وكتب جابر بن سمرة رضي الله عنه بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بها إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص بناء على طلبه ذلك منه.

ج- وكتب زيد بن أرقم رضي الله عنه بعض الأحاديث النبوية وأرسل بها إلى أنس بن مالك رضي الله عنه.

د- وكتب زيد بن ثابت في أمر الجَدِّ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك بناء على طلب عمر نفسه.

٣- **حث تلاميذهم على كتابة الحديث وتقييده**، ومن أمثلة ذلك:

أ- كان أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه يحثُّ أولاده على كتابة العلم فيقول: "يابني قيدوا العلم بالكتاب"، وكان يقول - رحمه الله ورضي عنه -: "كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علماً" .

ب- روى الخطيب بسنده عن عدة من تلاميذ عبد الله بن عباس حَبر الأمَّة أنه كان يقول: "قيدوا العلم بالكتاب، خير ما قُيِّد به العلم الكتاب".

ج- وروى أيضاً بأسانيده من عدة طرق إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "قيدوا العلم بالكتاب".

٤- **تدوين الحديث في الصحف** وتناقلها بين الشيوخ والتلاميذ:

ولقد كانت هذه الصحف هى النواة الأولى لما صنف في القرنين الثاني والثالث من الجوامع والمسانيد والسنن وغيرها.

أمثلة للصحف المشهورة التي كتبها الصحابة رضي الله عنهم

ومن أمثلة هذه الصحف ما يلى:

١- صحيفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيها فرائض الصدقة.

٢- صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أخرج منها مسلم وأحمد.

٣- صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، المعروفة بالصحيفة الصادقة، وهي في مسند أحمد.

هذه الصحف الثلاث كلها كتبت في حياته صلى الله عليه وسلم وهناك غيرها كثير مما كتب في حياته صلى الله عليه وسلم.

٤- صحيفة عبد الله بن أبي أوفى، ذكرها الإمام البخاري في كتاب الجهاد من "صحيحه" باب الصبر عند القتال.

٥- صحيفة أبي موسى الأشعري. وفيها شيئ في المسند لأحمد.

٦- الصحيفة الصحيحة التي يرويها همام بن منبّه عن أبي هريرة من حديثه. وهي من أشهر الصحف وتضمنت (١٤٠) حديثا ساقها كلها الإمام أحمد في مسنده بسند واحد، وانتقى منها الشيخان أحاديث.

ثالثاً: جهود التابعين في تدوين السُّنَّة المشرفة:

تلقى التابعون – رحمهم الله – السُّنَّة، بل الدِّين كله عن الصحابة الكرام – رضوان الله عنهم – فقاموا بمهمة تبليغ الرسالة من بعد شيوخهم إلى الناس كافة، فكانوا خير جيل بعد ذلك الجيل، وقد بذل جيل التابعين في خدمة السُّنَّة وتدوينها وحفظها جهوداً كبيرة.

وفيما يلي نماذج من تلك الجهود:

١–الحث على التزام السُّنَّة وحفظها وكتابتها والتثبت في روايتها وسماعها:

أ– روى الخطيب بسنده من عدة طرق عن الإمام عامر الشعبي:

أنه كان يقول: "إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في الحائط فهو خيرٌ لك من موضعه من الصحيفة فإنك تحتاج إليه يوماً ما".

ب– عن الحسن البصري قال: "ما قُيِّد العلم بمثل الكتاب، إنما نكتبه لنتعاهده". .

٢– تدوينهم للسُّنَّة في الصحف:

انتشرت كتابة الحديث في جيل التابعين على نطاق أوسع مما كان في زمن الصحابة، إذ أصبحت الكتابة ملازمة لحلقات العلم المنتشرة في الأمصار الإسلامية آنذاك.

ولعل من أسباب ذلك التوسع ما يلي:

أ– انتشار الروايات، وطول الأسانيد، وكثرة أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم.

ب– موت كثير من حفَّاظ السُّنَّة من الصحابة وكبار التابعين فخِيف بذهابهم أن يذهب كثير من السُّنَّة.

ج– ضعف ملكة الحفظ مع انتشار الكتابة بين الناس وكثرة العلوم المختلفة.

د– ظهور البدع والأهواء وفشوِّ الكذب، فحفاظاً على السُّنَّة وحمايةً لها من أن يدخل فيها ما ليس منها شُرِع في تدوينها.

هـ– زوال كثيرٍ من أسباب الكراهة.

وقد كتب في هذا العصر من الصحف ما يفوق الحصر، وقد ذكر الدكتور مصطفى الأعظمي عدداً كبيراً منها وذلك في كتابه: "دراسات في الحديث النبوى".

وأكتفي هنا بذكر **نماذج من الصحف التى كتبت في عصر التابعين**:

١– صحيفة أو صحف سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس.

٢– صحيفة بشير بن نهيك كتبها عن أبي هريرة وغيره.

٣- صحف مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، قال أبو يحيى الكناسي: "كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته فيخرج إليَّ كتبه فأنسخ منها".

٤- صحيفة أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي تلميذ جابر بن عبد الله، يروي نسخة عنه وعن غيره أيضاً.

وغير ذلك من الصحف الكثيرة التي رويت عن التابعين، والتي كانت هي الأساس الثاني بعد صحائف الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين – لما أُلِّف وصُنِّف في القرنين الثاني والثالث.

٣- جهود الإمامين عمر بن عبد العزيز وابن شهاب الزهري في تدوين السُّنَّة:

وجهودهما رحمهما الله تعالى ورضي الله عنهما في نشر السُّنَّة وقمع البدعة – قولاً وفعلاً – أشهر من أن تذكر في هذا المقام، ولتراجع ترجمتيهما في "سير أعلام النبلاء" وغيره.

وأخرج الحافظ ابن عبد البر بسنده إلى الإمام مالك قال: "أول ما دون العلم: ابن شهاب الزهري".

وصار الزهري بذلك أول من دون العلم، والمراد بالعلم: السنن والأحاديث، **والمراد بأولية التدوين** أي :

١- على جهة الجمع والشمول والتتبع والاستقصاء.

٢- وأيضا كان على جهة النشر للناس لا للتدوين الشخصيّ.

ومن هذين الحيثيتين يتبين الفرق بين ما وقع للزهري وبين ما كان قبله.

فالمراد بهذا: (التدوين الشامل) الذي بدأه فعلاً الزهري بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقد سبق أن ذكرنا أن الحافظ الخطيب البغدادي قد حرَّر هذا الموضوع في كتابه "تقييد العلم"، وأثبت بالأدلة أن التدوين قد بدأ من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين أيضاً، لكن لم يكن ذلك بشمول واستقصاء.

الفصل الثاني: التدوين في القرن الثاني الهجري

يشمل هذا القرن عصر جيلين:

الأول: صغار التابعين إذ تأخرت وفاة بعضهم إلى ما بعد سنة (١٤٠ هـ) وقد سبق الكلام عن أثرهم وجهودهم في التدوين ضمن الكلام عن جهود جيل التابعين كله بمختلف طبقاته.

أما الجيل الثاني: فهم أتباع التابعين –الحلقة الثالثة – بعد جيل الصحابة والتابعين وقد نشط الأئمة والعلماء من هذا الجيل في خدمة السُّنَّة وعلومها وحمايتها من كل ما يشوبها وعلى أيديهم بدأ التدوين الشامل المبوَّب المرتَّب، بعد أن كان من قبلهم يجمع الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس بشكل محدود وكيفما اتفق بدون تبويب ولا ترتيب.

كما نشأ وتفتَّق على أيديهم علم الرجال، بعد أن كان السؤال عن الإسناد قد بدأ في أواخر عصر الصحابة وكبار التابعين وكما كان لهذا الجيل الريادة في ابتداء التدوين المرتَّب على الأبواب والفصول، كذلك كانت له الريادة في ابتداء التصنيف في علم الرجال، حيث أَلَّف في تاريخ الرجال كل من: الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) وابن المبارك (ت ١٨١ هـ) ، وضمرة بن ربيعة (ت ٢٠٢ هـ) ، والفضل بن دكين (ت ٢١٨ هـ) وغيرهم.

ويعتبر هذا الجيل جيل التأسيس لعلوم السُّنَّة المطهَّرة ولا غروَ، ففيه عاش جهابذة رجال السُّنَّة أمثال الأئمة: مالك، والشافعى والثوري، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وابراهيم الفزاري، وابن عيينة، والقطان، وابن مهدي، ووكيع وغيرهم كثير.

ومما تميز به هذا القرن الثاني الهجري:

١-جمع الحديث وتقييده مصنّفا ومرتّبا على الأبواب، وضم بعضها إلى بعض،ولهذا سميت في هذا العصر مصنفات وجوامع، بدل الصحف والصحائف.

٢-تدوين أهل هذا العصر كان بهدف نشره بين الناس بخلاف القرن الأول فقد كان للتدوين الشخصيّ.

٣- اشتملت المصنفات في هذا العصر على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين.

٤- ظهور التفريق بين التدوين الذي هو مجرد الجمع وبين التصنيف الذي هو الترتيب والتبويب والتمييز في المصنفات في هذا القرن.

وقد حملت مصنفات علماء القرن الثاني عناوين: **موطآت – ومصنفات – وجوامع – وسنن**، وبعضها كان بعناوين خاصة مثل: الجهاد – الزهد - المغازي والسير. ممن اشتهر بوضع المصنفات في الحديث في هذا القرن: الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) بالمدينة.

تعريف الجوامع: الجامع في اصطلاح المحدثين: ما يوجد فيه جميع أقسام الحديث من عقائد وأحكام وتاريخ وسير ورقاق ونحوها. ومن أشهرها الجامع للبخاري ٢٥٦هـ وهو صحيحه ، والجامع للترمذي ٢٧٩هـ.

تعريف الموطأ: تشترك مع الجوامع في كونها (تجمع الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة والمقطوعة). كما أنها في الأصل لم تشترط الصحة. ومن أشهرها موطأ مالك ٩٤هـ وموطأ ابن أبي ذئب ١٥٩هـ

تعريف المصنفات: كتب مرتبة على الأبواب الفقهية تذكر فيها الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمنقطعة والمرسلة وفتاوى الصحابة والتابعين فمن بعدهم. ومن أشهرها : مصنف عبدالرزاق ٢١١هـ ومصنف ابن أبي شيبة ٢٣٥هـ.

دراسة موجزة عن نموذج مما دون في هذا القرن الثاني:
وهو: موطأ الإمام مالك.

لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة بل إمام المسلمين في زمانه، قال الذهبي: "الإمام الحافظ فقيه الأمَّة شيخ الإسلام".

عدد أحاديثه:

يبلغ عدد أحاديث "الموطأ" - رواية يحيى بن يحي الأندلسي الليثي عنه – (٨٥٣) حديثاً.

ويقول أبو بكر الأبهري: جملة ما في "الموطأ" من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين (١٧٢٠) حديثاً، المسند منها (٦٠٠) ، والمرسل (٢٢٢) ، والموقوف (٦١٣) ، ومن قول التابعين (٢٨٥) .

وقد يختلف عددها لتباين روايات "الموطأ" عن الإمام مالك؛ ولأنه كان دائم التهذيب والتنقيح لموطأه، إذ مكث في تصنيفه وتهذيبه أربعين عاماً.

مرتبة أحاديثه:

قال الإمام الشافعي: "أصح كتاب بعد كتاب الله "موطأ الإمام مالك".

ولا تعارض بين هذا القول وبين ما اتفق عليه العلماء من أن أصح كتاب بعد كتاب الله "صحيحا البخارى ومسلم"، وذلك لأمور:

١- أن كلام الإمام الشافعى كان قبل وجود "الصحيحين" حيث توفي - رحمه الله - سنة (٢٠٤ هـ) وعمر الإمام البخاري آنذاك لا يتجاوز عشر سنوات، وكان مولد الإمام مسلم سنة (٢٠٤ هـ) .

٢- أن جلّ ما فيه مخرج فيهما، وما بقي منه في "السنن" الأربعة.

وقد ذهب إلى القول بأن كل ما في "الموطأ" صحيح جمعٌ من الأئمة في المشرق والمغرب، وقد أشار إلى ذلك الحافظ بن الصلاح وابن حجر في آخر باب الصحيح من أنواع علوم الحديث.

لكن الراجح لدى الجمهور أن مرتبة "الموطأ" تأتي بعد "الصحيحين" والله تعالى أعلم.

وقد عده بعض العلماء سادس الكتب الستة، منهم رزين ابن معاوية السرقسطي (ت ٥٣٥ هـ) في كتابه "الجمع بين الكتب الستة"، والمجد ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) في كتابه "جامع الأصول".

من أهم شروح الموطأ:

١- الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار. مطبوع في ثلاثين مجلدا.

٢- والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، كلاهما لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) وقد طبع في المغرب في ٢٤ مجلداً. ورتبه على الأبواب الفقهية الشيخ عطية محمد سا لم، ومحمد المغراوي

الباب الثالث: التدوين في القرن الثالث الهجري
تعريف موجز عن جهود علماء السنة في هذا القرن ومميزات التدوين فيه

(العصر الذهبي)

يعتبر هذا القرن عصر ازدهار العلوم الاسلامية عامة وعلوم السُّنَّة النبوية خاصة، بل يعد هذا القرن من أزهى عصور السُّنَّة النبوية، إذ نشطت فيه الرحلة لطلب العلم ونشط فيه التأليف في علم الرجال، وتُوسِّع في تدوين الحديث، فظهرت كتب: **المسانيد، والكتب الستة – الصحاح والسنن** – التي اعتمدتها الأمَّة واعتبرتها دواوين الإسلام.

وقد برز في هذا العصر كثير من الحفاظ والنقاد والعلماء الجهابذة من أمثال: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، ومحمد بن مسلم بن وارة، وأبو عبد الله البخاري، ومسلم بن الحجاج، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وعثمان بن سعيد، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارميان، وغيرهم كثير ممن كان على أيديهم تأسيس كثيرٍ من علوم الحديث عموماً وعلم الجرح والتعديل خصوصاً.

كما ظهر على أيدي هؤلاء الجهابذة الأعلام نوع جديد من التأليف، وهو ما عرف بكتب العقيدة**.**

وقد تميز التدوين في هذا القرن الثالث الهجري بما يلي:

١– تجريد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمييزها عن غيرها، بعد أن كانت قد دونت في القرن الثاني ممزوجة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

٢– الاعتناء ببيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

٣– تنوع المصنفات في تدوين السُّنَّة، حيث ظهرت الأنواع التالية:

أ– **كتب المسانيد** التي تعنى بجمع أحاديث كل صحابيٍّ على حِدة كمسند الإمام أحمد وغيره.

ب– **كتب الصحاح والسنن** التي تعنى بتصنيف أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكتب والأبواب مع العناية ببيان الصحيح من غيره كالكتب الستة وغيرها.

ج– **كتب مختلف الحديث** ومشكلها مثل كتاب: "اختلاف الحديث" للإمام الشافعي، وكتاب "اختلاف الحديث" لعلي بن المديني، وكذلك كتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة وغيرها.

وهناك الكثير من المصنفات في هذا القرن نكتفي بذكر القليل منها إشارة إلى الكثير.

الفصل الأول: كتب المسانيد:

تعريفها: المسند لغة: ما ارتفع عن الأرض وعلا عن السطح.

وفي الاصطلاح: أطلقه المحدِّثون على معنيين:

الأول: الحديث المسند.

وعلى هذا المعنى أطلق بعض المصنفين على كتابه: مسند، مثل "الجامع الصحيح المسند" لأبي عبد الله البخاري، وكذلك "مسند الدارمي" و "صحيحا ابن خزيمة وابن حبان" وغيرها.

الثاني: كتب المسانيد. وهي التي تخرج الأحاديث على أسماء الصحابة، وضم أحاديث كل واحد من الصحابة بعضها إلى بعض ، مثل "مسند الإمام أحمد. وأبي يعلى الموصلي" وغيرهما.

طريقة ترتيب كتب المسانيد:

للعلماء في ذلك ثلاث طرق:

الأولى: ترتيب أسماء الصحابة على حروف المعجم من أوائل الأسماء، فيبدأ – مثلاً - بأُبيّ بن كعب، ثم أسامة بن زيد، ثم أنس بن مالك وهكذا، إلى آخر الحروف.

الثانية: الترتيب على القبائل فيبدأ ببني هاشم، ثم الأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب، ثم مَنْ يليهم.

الثالثة: الترتيب على قدر سوابق الصحابة في الإسلام ومحله في الدين، فيبدأ بالعشرة - رضوان الله عليهم -، ثم المقدمين من أهل بدر، ثم يلونهم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ... وهكذا.

قال الخطيب البغدادي: "وهذه الطريقة – الأخيرة - أحب إلينا في تخريج المسند".

٣- **أهم كتب المسانيد:**

١- مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ) وقد ردَّ الحافظ السيوطي على من نسب هذا المسند إلى الطيالسي وجعله أول مصنف في المسند باعتبار تقدم وفاته، فقال: "إنما هو من جمع بعض الحفاظ الخراسانيين جمع فيه ما رواه يونس بن حبيب الأصبهاني خاصة عنه، وشذَّ عنه كثير منه، ويشبه هذا "مسند الشافعي" فإنه ليس تصنيفه، وإنما لقطه بعض الحفاظ النيسابوريين من مسموع الأصم من كتاب "الأم" فإنه كان سمع "الأم" أو غالبها على الربيع عن الشافعي".

وقد رتب هذا "المسند" على أبواب الفقه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي – رحمه الله –وسماه "منحة المعبود بترتيب مسند أبي داود"، وهو مطبوع في مجلدين بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

٢–مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) – هو أكبر المسانيد الموجودة فيما أعلم، وقد طبع في ست مجلدات كبيرة — وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله.

تنبيه:

١– هناك كتب مرتبة على أسماء الصحابة على طريقة المسانيد، ولم يسمها أصحابها مسانيد من ذلك مثلاً:

أ) المعجم الكبير للطبراني.

ب) العلل للدارقطني وغيرهما

٢– وهناك كتب ذكرت في عداد كتب المسانيد وهى ليست مرتبة على المسانيد ولا على الأبواب، مثل: "مسند علي بن الجعد" المطبوع في مجلدين، و "مسند يحيى بن معين"، و "مسند السرَّاج" ونحوهما.

دراسة موجزة عن نموذج لكتب المسانيد وهو مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل:

مؤلفه شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره الحافظ الحجة والإمام القدوة المجمع على جلالة قدره وعلو شأنه من الموافق والمخالف، أبو عبد الله أحمد بن محمد الذهلي الشيباني المولود سنة (١٦٤ هـ) والمتوفى سنة (٢٤١ هـ)

طريقة ترتيبه:

رتبه – رحمه الله – على قدر سابقة الصحابي في الإسلام ومحله من الدين، فبدأ بالعشرة الخلفاء على غيرهم، ثم أهل بدر، ثم أهل الحديبية. وهكذا.

مكانة هذا المسند:

وقال أحمد رحمه الله: هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألف، وما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه، فإن وجدتموه وإلا فليس بحجة".

وقال أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني: "وهذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث انتقى من حديث كثير ومسموعات وافرة، فجعله إماماً ومعتمداً، وعند التنازع ملجئاً ومستنداً".

عدد أحاديث المسند:

وقال المديني: "فأما عدد أحاديثه فلم أزل أسمع من أفواه الناس أنها أربعون ألفاً"

عدد الصحابة المخرجة مسانيدهم في المسند:

قال أبو موسى المديني: "فأما عدد الصحابة فنحو سبعمائة رجل ومن النساء مائة ونيف".

وقال ابن الجزرى: "قد عددتهم فبلغوا ستمائة ونيفاً وتسعين سوى النساء، وعددت النساء فبلغن ستاً وتسعين، واشتمل "المسند" على نحو ثمانمائة من الصحابة، سوى ما فيه ممن لم يسم من الأبناء والمبهمات وغيرهم".

شرط الإمام أحمد:

قال الحافظ أبو موسى المديني: "لم يخرج أحمد في "مسنده" إلا عمن ثبت عنده صدقه وديانته، دون من طعن في أمانته".

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: "شرط "المسند" أقوى من شرط أبي داود في "سننه"، وقد روى أبو داود في "سننه" عن رجال أعرض عنهم أحمد في "المسند"، ولهذا كان الإمام أحمد لايروي في "المسند" عمن يعرف أنه يكذب مثل محمد بن سعيد المصلوب ونحوه، ولكن قد يروي عمن يُضَعَّف لسوء حفظه، فإنه يكتب حديثه ليعتضد به ويعتبر به".

درجة أحاديث المسند:

قال الحافظ أبو القاسم التيمي رحمه الله: "لا يجوز أن يقال: فيه السقيم، بل فيه الصحيح والمشهور والحسن والغريب".

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: "وقد تنازع الناس هل في "مسند الإمام أحمد" حديث موضوع، فقال طائفة من الحفاظ كأبي العلاء الهمداني وغيره: ليس فيه موضوع، وقال بعض العلماء كأبي الفرج ابن الجوزي: فيه موضوع...ولا خلاف بين القولين عند التحقيق، فإن لفظ الموضوع قد يراد به: المختلق المصنوع الذي يتعمد صاحبه الكذب، وهذا مما لا يعلم أن في "المسند" منه شيئاً، ويراد بالموضوع: ما يعلم انتفاء خبره، وإن كان صاحبه لم يتعمد الكذب بل أخطأ فيه، وهذا الضرب في "المسند" منه، بل وفي "سنن أبي داود والنسائي".

وقال الحافظ في مقدمة "تعجيل المنفعة": "ليس في "مسند أحمد" حديثاً لا أصل له إلا ثلاثة أحاديث أو أربعة منها حديث عبد الرحمن بن عوف: أنه يدخل الجنة زحفاً، والاعتذار عنه أنه مما أمر الإمام أحمد بالضرب عليه فترك سهواً".

أقسام أحاديث المسند المطبوع:

قال الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنّا الساعاتى: "بتتبعي لأحاديث "المسند" وجدتها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: ما رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه سماعاً منه، وهو المسمى "مسند الإمام أحمد"، وهو كبير جداً يزيد على ثلاثة أرباع الكتاب.

الثاني: ما رواه عبد الله عن أبيه وغيره، وهو قليل جداً.

الثالث: ما رواه عبد الله عن غير أبيه، وهو المسمى عند المحدثين بزوائد عبد الله وهو كثير بالنسبة للأقسام كلها عدا الأول.

الرابع: ما قرأه عبد الله على أبيه ولم يسمعه منه، وهو قليل.

الخامس: ما وجده عبد الله في كتاب أبيه بخط يده، ولم يقرأه ولم يسمعه، وهو قليل أيضاً.

السادس: ما رواه الحافظ أبو بكر القطيعي عن غير عبد الله وأبيه – رحمهما الله تعالى – وهو أقل الجميع".

عناية العلماء بالمسند:

١– رتبه على معجم الصحابة والرواة عنهم كترتيب كتب الأطراف: الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب الصامت.

٢– أخذ الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير – رحمه الله تعالى – كتاب "المسند" بترتيب ابن المحب الصامت، وضم إليه "الكتب الستة"، و "مسند البزار"، و "مسند أبي يعلى الموصلي"، و "معجم الطبراني الكبير"، ورتبها جميعاً على نفس ترتيب ابن المحب للمسند، وسماه: "جامع المسانيد والسنن".

٣– رتبه الحافظ ابن حجر أيضاً على الأطراف وسماه: "إطراف المسنِد المعتلي بأطراف المسند الحنبلي" ثم ضمه أيضاً مع الكتب العشرة في كتابه "إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة".

٤– رتبه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الساعاتى على الكتب والأبواب ليسهل بذلك على طلبة العلم الاستفادة من المسند وسماه "الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني"، ثم عاد وشرحه وخرج أحاديثه في كتاب سماه "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"، وكلاهما مطبوع.

٦– اعتنى بهذا المسند أيضاً الشيخ أحمد بن محمد شاكر – رحمه الله تعالى – فشرح غريبه وحكم على أحاديثه صحة وضعفاً بما أوصله إليه اجتهاده، ثم صنع له فهارس قسمها – رحمه الله تعالى – إلى قسمين: فهارس لطيفة كفهارس الأعلام ونحوها، وفهارس علمية كتلك التي صنعها في "الرسالة" للشافعي، وقد توفي – رحمه الله تعالى – قبل أن يكمله إذ بلغ الربع تقريباً.

هذه أهم الجهود التي وقفت عليها، وهناك جهود أخرى اعتنت بـ "المسند" من حيث مكانته وأهميته وبيان درجة أحاديثه من أهمها:

[١] خصائص المسند لأبي موسى المديني.

[٢] المصعد الأحمد.

[٣] المسند الأحمد كلاهما لشمس الدين ابن الجزري.

[٤] القول المسدد في الذب عن مسند أحمد. للحافظ ابن حجر – رحمه الله – وغير ذلك.

[٥] الذب الأحمد عن مسند أحمد للشيخ محمد ناصر الدين الألباني وطلب منه سماحة الشيخ ابن باز.

النوع الثاني من أنواع المؤلفات في القرن الثالث: الكتب الستة (السنن).

قال الحافظ أبو الحجاج المزي (ت ٧٤٢ هـ) : "وأما السُنَّة فإن الله وفق لها حفاظاً عارفين وجهابذة عالمين وصيارفة ناقدين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فتنوعوا في تصنيفها وتفننوا في تدوينها على أنحاء كثيرة وضروب عديدة حرصاً على حفظها وخوفاً من إضاعتها، وكان من أحسنها تصنيفاً وأجودها تأليفاً وأكثرها صواباً وأقلها خطأً، وأعمها نفعاً، وأعودها فائدة وأعظمها بركة، وأيسرها مؤونة، وأحسنها قبولاً، عند الموافق والمخالف، وأجُلها موضعاً عند الخاصة والعامة: "صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري"، ثم "صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري"، ثم بعدهما كتاب "السنن" لأبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني، ثم كتاب"الجامع" لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ثم كتاب "السنن" لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ثم كتاب "السنن" لأبي عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني وإن لم يبلغ درجتهم.

ولكل واحد من هذه "الكتب الستة" ميزة يعرفها أهل هذا الشأن، فاشتهرت هذه الكتب بين الأنام وانتشرت في بلاد الإسلام، وعظم الانتفاع بها وحرص طلاب العلم على تحصيلها، وصُنِّفت فيها تصانيف وعُلِّقت عليها تعاليق، بعضها في معرفة ما اشتملت عليه من المتون وبعضها في معرفة ما احتوت عليه من الأسانيد، وبعضها في مجموع ذلك".

أولاً: صحيح الإمام البخاري

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي مولاهم.(ت ٢٥٦هـ).

من خصائصه:

١- اقتصاره على الأحاديث الصحيحة.

٢-عناية مؤلفه بالاستنباط، فتضمنت تراجمه الاستنباطات الدقيقة والفوائد البديعة ولذا اشتهر: فقه البخاري في تراجمه. ٣- الاشتشهاد بالآيات وآثار الصحابة.٤- تكرار الحديث وتقطيعه.

ومن أهم شروح البخاري المطبوعة:

٢- الكوكب الدراري في شرح صحيح البخاري للحافظ شمس الدين محمد بن يوسف المعروف بالكرماني (ت ٧٨٦ هـ) . مطبوع في ١٢ مجلدا لطيفا.

٣- فتح الباري للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) ، وهو أهم شروحه وأجودها، وصدق فيه قول الشيخ الشوكاني: "لا هجرة بعد الفتح". مطبوع في ١٣ مجلدا كبيرا.

٤- عمدة القاري للحافظ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد الحنفي الشهير بالعيني (ت ٨٥٥ هـ) .مطبوع.

٥- إرشاد الساري لشهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بالقسطلانى (ت ٩٢٣ هـ) .

ثانياً: صحيح الإمام مسلم

للإمام الحافظ الناقد أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ولد في سنة أربع ومائتين، ومات سنة إحدى وستين ومائتين للهجرة.

والسبب الباعث له على ذلك أمران:

الأول: إجابة لسؤال أحد تلاميذه .

الثاني: كثرة ما أُلِّف وقُذِف به إلى الناس من الكتب المملؤة بالضعاف والمناكير.

وقد اعتنى العلماء بصحيح مسلم رواية وإسماعاً إلا أنه اتصلت واشتهرت الروايات في الأعصار المتأخرة لصحيح مسلم برواية أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري الفقيه الزاهد المجتهد راوية صحيح مسلم، مات سنة (٣٠٨ هـ) .

من خصائصه:

١-اقتصاره على الصحيح.

٢-حسن ترتيبه مع أنه لم يبوبه وليس فيه بعد المقدمة إلا الحديث السرد.

٣-عنايته بتحرير ألفاظه وبيان اختلاف الرواة فيه.

ومن أهم شروح مسلم ما يلي:

١- المعلم في شرح مسلم لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري المالكي (ت ٥٣٦ هـ) .

٢- إكمال المعلم بفوائد شرح صحيح مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) .

٣- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) .

٤- إكمال الإكمال لأبي الروح عيسى بن مسعود الزواوي المالكي (ت ٧٤٤ هـ) .

وغير ذلك من الشروح التي بلغت – فيما وقفت عليه – قريباً من خمسين شرحاً ومختصراً.

ثالثاً: سنن أبي داود السجستاني

للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني المولود سنة (٢٠٢ هـ) والمتوفى سنة (٢٧٥ هـ) .

من خصائصه:

١-عنايته بأحاديث الأحكام ولذا فإنه اشتمل على أكثر أدلة الفقه .

٢-لم يلتزم فيه الصحة لذلك قال في رسالته إلى أهل مكة: وما كان فيه من حديث منكر بيت أنه منكر...

ومن أهم شروحه:

١- شرح معالم السنن لأبي سليمان حَمْد بن محمد بن ابراهيم الخطابى (ت ٣٨٨هـ).

٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود للشيخ شرف الحق العظيم أبادي (ت ٣٢٩ هـ) [1]

٥- بذل المجهود في حلِّ أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦ هـ). (وهو حنفيّ متعصب)!

رابعاً: جامع أبي عيسى الترمذي

لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك السلمي المولود في سنة (٢٠٩ هـ) والمتوفى سنة (٢٧٩ هـ) .

من خصائصه:

١-بيانه لحكم الحديث من الصحة والحسن والغرابة.

٢- إشارته للأحاديث الواردة في الباب.

٣- ذكره لمذاهب الفقهاء وعمل العلماء بالحديث، قال الترمذي: وجميع أحاديث الكتاب معمول به ما خلا حديثين... ٤-بيانه لأسماء الرجال وأحوالهم وعلل الأحاديث أحيانا.

ومن أهم شروحه:

١- عارضة الأحوذي لأبي بكر بن العربي المالكي. (٥٤٣هـ)

٢- شرح ابن سيد الناس ولم يتمه، وأكمله الحافظ العراقي المتوفى سنة (٨٠٦ هـ) إلا أنه لم يتمَّه أيضاً، فأتمه ابنه أبو زرعة المتوفى سنة (٨٢٦ هـ) .

٣- تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي. لعبد الرحمن المباركفوري. وغير ذلك من الشروح.

خامساً: كتاب السنن لأبي عبد الرحمن النسائي

للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي، ولد سنة (٢١٥ هـ) وتوفي سنة (٣٠٣ هـ) .

---

[1] وقد رجح بعض المحققين المعاصرين كالعلامة محمد تقي الدين الهلالي المغربي رحمه الله أن "هذا الكتاب لا ينسب له شخص معين، بل كان هناك غيره من أهل العلم شاركوه ! " راجع كتابه (الدعوة إلى الله ص١٧٠). وطبع الكتاب باسم (شمس الحق العظيم آبادي) لكن صرح في المقدمة بقوله: يقول شرف الحق الشهير بمحمد أشرف..العظيم آبادي ، وأن شمس الحق شيخه وله شرح مطول على الكتاب اسمه (غاية المقصود). والعلم عندالله تعالى.

أما شروحه فقليلة منها "شرح السيوطي" و "حاشية السندي" وشرح الشيخ محمد على آدم الولوي الأتيوبي وهومطول في أربعين مجلدا.

من خصائصه:

١-هو أقل الكتب بعد الصحيحين ضعيفا ورجلا مجروحا. كما قاله ابن رشيد.

٢- بيانه للعلل واختلاف الرواة.

سادساً: السنن للحافظ أبي عبد الله ابن ماجه

لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الحافظ الكبير الحجة المفسر، مصنف السنن والتاريخ والتفسير وغيرها، حافظ قزوين في عصره، ولد سنة (٢٠٩ هـ) ، وتوفي سنة (٢٧٢ هـ) .

من خصائصه:

١-حسن ترتيبه وجودة تبويبه وغزارة أبوابه، قال ابن كثير: وهو كتاب مفيد قوي التبويب في الفقه.

٢- كثرة زوائده على الخمسة، ولذا جُعل سادسَ الستة، وأول من جعله هو ابن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ).

الباب الرابع: التدوين في القرنين الرابع والخامس.
تمهيد في بيان جهود علماء السنة إجمالا

سبق القول بـــأن **القرن الثالث الهجرى يُعَدُّ العصرَ الذهبيَّ** لتدوين العلوم الإسلامية عامة، وعلوم السُّنَّة النبوية خاصة.

وتابع علماء السُّنَّة في القرن الرابع من سبقهم في خدمة السُّنَّة المطهرة وعلومها، فكان منهم من نسج على منوال **الصحيحين** في تخريج الأحاديث الصحيحة من ذلك مثلاً:

١- صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ) .

٢- صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) .

٣- صحيح ابن السكن (ت ٣٥٣ هـ) .

٤- مستدرك الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) وغيرها.

ومنهم من نهج منهج **أصحاب السنن** في الاقتصار على أحاديث السنن والأحكام، مع اشتمالها على الصحيح وغيره، وذلك مثل:

١- منتقى ابن الجارود (ت ٣٠٧ هـ) .

٢- سنن الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) .

٣- سنن البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) وهو متأخر وفاةً لكن يمكن عده في القرن الرابع تجوزاً لتقارب كتب السنن، كذلك نجد من اعتنى في هذا القرن بالتأليف في مختلف الحديث ومشكله، كما في كتابي الطحاوي (ت ٣٢١ هـ) : ١- شرح معاني الآثار.٢- ومشكل الآثار، وغيرهما.
وذلك تتميماً — وتكميلاً – لما بدأه الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) في كتابه "اختلاف الحديث"، والحافظ ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه "تأويل مختلف الحديث" وغيرهما مما ألف في ذلك النوع في القرن الثالث.

كما ظهر ـ ولأول مرة ـ نوعان من المصنفات في هذا القرن هما:
أولاً: كتب المصطلح – علوم الحديث – التي جمعت تلك القواعد التي كانت متفرقة في كتب من سبقهم من علماء القرنين الثاني والثالث مثل: "الرسالة" للشافعي، ومقدمة "صحيح مسلم" وكتابه "التمييز"، وكتب الرجال والعلل، فقيض الله عز وجل من جمعها وسهلها على طلبة العلم.
ثانياً: كتب المستخرجات، وسيأتي الكلام عنها قريباً بإذن الله.
وهناك أنواع أخرى من المصنفات في مجال تدوين السُّنَّة في هذا القرن مثل معاجم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) و "العلل" للدارقطني الذي رتبه على مسانيد الصحابة، وغيرها.
أما في القرن الخامس الهجري، فقد سلك علماء السُّنَّة طرقاً أخرى ومجالات جديدة لتدوين السُّنَّة وحفظها وجمعها، حيث ظهرت في هذا القرن النواة الأولى للموسوعات الحديثة ومن ذلك:
١- كتب الجمع بين الصحيحين.
٢- وكتب الجمع بين الستة وغير ذلك، وسيأتي لذلك مزيد تفصيل بإذن الله.

الفصل الأول: نماذج من التدوين في القرن الرابع الهجري

١ـ صحيح الإمام ابن خريمة:

لأبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابورى الحافظ إمام الأئمة، شيخ الاسلام صاحب المصنفات الكثيرة، ولد سنة (٢٢٣ هـ) ، وتوفي سنة (ت ٣١١ هـ) .

تسمية كتابه:

وقال الحافظ ابن حجر: وسمَّى ابن خزيمة كتابه: "المسند الصحيح المتصل بنقل العدل عن العدل من غير قطعٍ في السند، ولا جرحٍ في النقلة".

شرطه في كتابه:

اشترط ابن خزيمة – رحمه الله – في هذا الكتاب ألا يُخرِّج إلا الحديث الصحيح، وقد نص على ذلك في عنوان كتابه حيث قال: "مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل

موصولاً إليه صلى الله عليه وسلم من غير قطعٍ في أثناء الإسناد، ولا جَرحٍ في ناقلي الأخبار التي نذكرها بمشيئة الله تعالى".

مكانة صحيح ابن خزيمة من كتب السُّنَّة:

وقال الحافظ السيوطى: "صحيح ابن خزيمة أعلى مرتبة من صحيح ابن حبان لشدة تحرِّيه، حيث إنه يتوقف في التصحيح لأدنى كلام في الإسناد، فيقول مثلا: باب كراهة كذا إن صح الخبر، أو إن ثبت كذا".

عناية العلماء بصحيح ابن خربمة:

اعتنى العلماء بصحيح ابن خزيمة روايةً وإسماعاً ونَسخاً، وممن اعتنى به من المتأخرين:

١- الحافظ سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ) حيث اختصر "تهذيب الكمال" للمزي مع التذييل عليه برجال ستة كتب منها صحيح ابن خزيمة.

٢- والحافظ ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) حيث صنف كتاب "إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة"، وهي: موطأ الإمام مالك، ومسند الشافعي، ومسند الإمام أحمد، وسنن الدارمى، وصحيح ابن خزيمة، والمنتقى لابن الجارود، وصحيح ابن حبان، والمستخرج لأبى عوانة، والمستدرك للحاكم، وشرح معانى الآثار للطحاوي، والسنن للدارقطني.

قال الحافظ: "وإنما زاد العدد واحداً لأن صحيح ابن خزيمة لم يوجد منه سوى قدر ربعه". (العبادات فقط).

٢- صحيح ابن حِبان :

للإمام العلامة الحافظ شيخ خراسان أبي حاتم محمد بن حِبان البستي صاحب الكتب الشضهورة والمصنفات الغزيرة، ولد سنة بضع وسبعين ومائتين، وتوفي سنة (٣٥٤ هـ).

سبب تأليف ابن حبان لصحيحه:

قال في مقدمته:

١- وإنى لما رأيت الأخبار طرقها كثرت، ومعرفة الناس بالصحيح منها قَلَّتْ لاشتغالهم بكتب الموضوعات، وحفظ الخطأ والمقلوبات، حتى صار الخبر الصحيح مهجوراً لا يكتب، والمنكر المقلوب عزيزاً يُستغرب.

٢- وأن من جمع السنن من الأئمة المرضيين أمعنوا في ذكر الطرق للأخبار، وأكثروا من تكرار المعاد للآثار قصداً منهم لتحصيل الألفاظ على من رام حفظها من الحفَّاظ. قال: فتدبرت الصحاح لأسهِّل حفظها على المتعلِّمين، وأمعنت الفكر فيها لئلا يصعب وعيها على المقتبسين".

منهج ابن حبان في صحيحه:

وقال رحمه الله في بيان منهجه: "..فتدبرت الصحاح لأُسهّل حفظها على المتعلمين، وأمعنت الفكر فيها لئلا يصعب وعيها على المقتبسين فرأيتها تنقسم خمسة أقسام متساوية متفقة التقسيم غير متنافية:

فأولها: الأوامر التي أمر الله عباده بها (وهي تدور على مائة نوع وعشرة أنواع) .

والثاني: النواهي التي نهى الله عباده عنها (وهي تدور على مائة نوع وعشرة أنواع) .

والثالث: إخباره عما احتيج إلى معرفتها (وتدور على ثمانين نوعاً) .

والرابع: الإباحات التي أبيح ارتكابها (وتدور على خمسين نوعاً) .

والخامس: أفعال النبي صلى الله عليه وسلم التي انفرد بفعلها (وتدور على خمسين نوعاً) .

ثم قال: "فجميع أنواع السنن أربع مائة نوع على حسب ما ذكر ناها".اهـ ملخَّصاً

على معانيها على حسب ما سهل الله ويسره وله الحمد على ذلك".

أما طريقة ترتيبه فقد وصفها السيوطي بقوله: "صحيح ابن حبان **ترتيبه مَخْتَرَعٌ ليس على الأبواب**، وليس على المسانيد، ولهذا سمَّاه: التقاسيم والأنواع".

ويعتبر صحيح ابن حبان موسوعة كبيرة في الفقه على طريقة أهل الحديث، حيث توَّج كلَّ حديثٍ بعنوانٍ يتضمن المعنى الذي استنبطه من نص الحديث الذي يُدرجه تحته، ثم يُعقِّب على كثير من الأحاديث بتعليقات نفيسة، بعضها في الكلام على الرجال وبعضها تفسير دقيق للمعنى، وبعضها في رفع الإشكال المتوهم في الخبر، أو التعارض بين خبر وآخر، وغير ذلك من النفائس والطرائف.

ثناء العلماء على صحيح ابن حبان:

١- قال الأمير علاء الدين الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) الذي رتب صحيح ابن حبان على أبواب الفقه: "إنه من أجمع المصنفات في الأخبار النبوية، وأنفع المؤلفات في الآثار المحمدية".

٢- وقال السخاوي (ت٩٠٢هـ): "قال الحازمى: ابن حبان أمكن في الحديث من الحاكم، وقال ابن كثير: قد التزم ابن خزيمة وابن حبان الصحة، وهما خيرٌ من "المستدرك" بكثير وأنظف أسانيداً ومتوناً".

عناية العلماء بصحيح ابن حبان:

لم أقف على من اعتنى بصحيح ابن حبان قبل القرن الثامن فيما أعلم، ولعل عسر ترتيب الكتاب وصعوبة الكشف فيه كان سبباً رئيساً في هجر العلماء له، والله تعالى أعلم.

١- وأول من علمته أنه اعتنى بابن حبان هو الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) – رحمه الله – حيث قام بترتيبه على الكتب والأبواب، ليسهل على طلبة العلم الانتفاع به، فجزاه الله عن العلم وأهله خيراً.

٢- ترجم لرجال ابن حبان في صحيحه الحافظ أبو يعلى سراج الدين عمر بن على بن الملقن (ت ٨٠٤ هـ) في كتابه "إكمال تهذيب الكمال" حيث ذيل على كتاب المزِّيِّ برجال ستة كتب منها "صحيح ابن حبان".

٣- المستدرك لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري:

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ، المعروف بابن البيع الحاكم النيسابوري صاحب التصانيف، ولد سنة (٣٢١ هـ) وتوفي سنة (٤٠٥ هـ) .

شرط المؤلف ومنهجه في كتابه:

قال - رحمه الله - في مقدمته: "وقد سألني جماعة من أعيان أهل العلم بهذه المدينة وغيرها أن أجمع كتاباً يشتمل على الأحاديث المروية بأسانيد يحتج محمد بن إسماعيل ومسلم بن حجاج بمثلها - إذ لا سبيل إلى إخراج ما لا علة له - فإنهما رحمهما الله لم يدّعيا ذلك لأنفسهما"، ثم قال: "وأنا أستعين الله على إخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان رضى الله عنهما، أو أحدهما".

واختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تفسير معنى (المثلية) في كلام الحاكم -رحمه الله-:

١- فرآى بعضهم أن المراد رجال إسناده قد احتج بهم الشيخان أو أحدهما وهو قول ابن الصلاح وابن حجر.

٢-ورآى آخرون أن المراد مثل رواتها، لا بهم أنفسهم، فيكون لهؤلاء الرواة من الصفات ما لرواة الشيخين، وهو اختيار الحافظ العراقي وغيره.

تساهله رحمه الله تعالى وأسباب ذلك التساهل:

الحاكم رحمه الله مشهور بالتساهل في التصحيح، كما قال ابن الصلاح رحمه الله تعالى: وهو واسع الخَطْوِ في شرط الصحيح، متساهل في القضاء به).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم).

ومما يدل على تساهله رحمه الله تعالى:

١-إخراجه أحاديث قد احتج بها الشيخان أو أحدهما وهذا ليس على شرطه.

٢-تصحيحه لأحاديث على شرط الشيخين أو أحدهما وليست كذلك،إما أنهما لم يحتجا ببعض رواته، أو خرّجا لهم في المتابعات والشواهد.

٣- تصحيحه لأحاديث ضعيفة، وهو كثير.

اعتذار العلماء عن الحاكم في تساهله وغفلته:

قال الحافظ ابن حجر: "إنما وقع للحاكم التساهل لأنه سوَّد الكتاب لينقِّحه، فعاجلته المنيَّة ولم يتيسر له تحريره وتنقيحه...

عناية العلماء بمستدرك الحاكم:

اعتنى به العلماء رواية وسماعاً كغيره من كتب الحديث المسندة، كذلك اعتنوا بدراسة منهجه فيه.

١- لخصه الإمام أبوعبد الله الذهبي في كتابه "تلخيص المستدرك" مع تعقبه في أحكامه على الأحاديث.

٢- ترجم لرجاله الحافظ سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن ضمن كتابه "إكمال تهذيب الكمال".

ثانياً: كتب المستخرجات

تعريف المستخرجات:

المستخرجات جمع مستخرج، والمستخرج هو: أن يأتي المصنِّف إلى كتابٍ كالبخاري أو مسلم مثلاً، فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق المؤلف فيجتمع إسناد المستخرِجِ - بكسر الراء - مع المؤلف في شيخه أو من فوقه.

فوائد المستخرجات:

١- علو الإسناد.

٢- الزيادة في قدر الصحيح لما يقع فيها من ألفاظ زائدة وتتِمّات في بعض الأحاديث.

٣- كثرة طرق الحديث ليرجَّح بها عند المعارضة.

٤- الحكم بعدالة من أخرج له فيه لأن المخرِّج على شرط الصحيح يلزمه أن لا يخرِّج إلا عن ثقةٍ عنده.

من أهم المستخرجات على الصحيحين مايلي:

١- مستخرج أبي بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ) على صحيح البخاري.

٢- مستخرج الحافظ أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت ٣١٦ هـ) على صحيح مسلم، طبع بعضه.

الفصل الثاني: التدوين في القرن الخامس الهجري

أولاً: أهم المؤلفات في الجمع بين الكتب الستة جميعها أو بعضها:

سبقت الإشارة إلى أن علماء هذا القرن ابتكروا طريقة جديدة للمساهمة في خدمة السُّنَّة المطهرة في مجال تدوينها وحفظها، فكانت تلك الطريقة هى النواة الأولى للموسوعات الحديثية، وهذا الإبتكار الجديد هو الجمع بين كتب الحديث المؤلفة سابقاً مثل: الصحاح والسنن وغيرهما، ومن أهم المصنفات في هذا الموضوع ما يلي:

أولاً: الجمع بين الصحيحين:

١- الجمع بين الصحيحين للحافظ أبي مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (ت ٤٠١ هـ) ، رتَّبه على المسانيد كما ذكر ذلك الحافظ ابن الأثير.

٢-الجمع بين الصحيحين للإمام أبي عبد الله محمد بن نصر الحميدي الأندلسي (ت ٤٨٨هـ) ، وله زيادات عليهما في المتون والأسانيد وغيرها من الفوائد المهمة.

ثانياً: الجمع بين الكتب الخمسة أو الستة:

١- التجريد للصحاح والسنن - الصحيحان والموطأ والترمذي وأبو داود والنسائي - للحافظ أبي الحسن رزين بن معاوية السرقسطي (ت ٥٣٥ هـ) .

٢- الجمع بين الكتب الستة — الصحيحان والموطأ والسنن ما عدا ابن ماجه — لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي (ت ٥٨١ هـ) .

٣- جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لمجد الدين المبارك ابن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) .

الباب الخامس: اتجاه تدوين السُّنَّة بعد القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع.

في هذا الوقت الممتد عبر أربعة قرون تقريباً، مرت على المسلمين فيه محن وبلايا يشيب لهولها الولدان، ومن هذه المحن:

١- استمرار الانحطاط العلمي والجمود الفكري الذي بدأ من أوائل القرن الخامس الهجري تقريباً.

٢- استمرار الحملات الصليبية على ديار المسلمين، إذ بعد هزيمتهم في معركة حطين سنة (٥٨٣ هـ) وطردهم من بيت المقدس على يد القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي — مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام — رحمه الله — استمر لهؤلاء الصليبين وجود — أيضاً — في بعض مدن الشام قرابة قرن من الزمن بعد هزيمتهم في حطين، حيث كانت آخر معركة مع الصليبين في آخر معقل لفلولهم، معركة عكا سنة (٦٩٠ هـ) كما ذكر ذلك الحافظ الذهبي في حوادث تلك السنة من كتابه "تاريخ الاسلام"، وذكر - رحمه الله - أنه حضرها بنفسه وسنه يومئذ سبع عشرة سنة، وأنها كانت على أيدي العلماء من الفقهاء والمحدثين والمطوِّعة، حيث كانوا يجرون المنجنيق بأيديهم وهم يرتلون آيات الجهاد ويضرعون بالدعاء.

٣- ومنها تلك المحنة العظيمة والرَّزيَّة الأليمة التي نزلت بالمسلمين على أيدي التتار الوثنيين حيث بلغت ذروتها بسقوط بغداد على أيديهم سنة (٦٥٦ هـ) ، واستمرت معاركهم الضارية ضد المسلمين حتى كسرهم الله على يد المسلمين مرتين: الأولى على يد الملك المظفر قطز في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨ هـ) ، والثانية على يد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته في موقعة شقحب قرب مدينة دمشق سنة (٧٠٢هـ) ، وبعد هذه الموقعة لم يعد

للتتار ذكر – فيما أعلم – حيث تفرقوا ودخل كثير منهم الإسلام.

٤– ومنها استمرار تسلط أصحاب البدع والأهواء على رقاب المسلمين وتحكمهم فيها، وقد بدأ ذلك من منتصف القرن الرابع الهجرى تقريباً بتسلط البويهيين الروافض على الخلافة في بغداد واستيلاء العبيديين الباطنيين على شمال أفريقيا ومصر والشام، وقبل ذلك تسلط على المسلمين القرامطة الملحدون في البحرين وبعض أجزاء من العراق والشام.

وانتهى باستحواذ الوزير الرافضي ابن العلقمي وصاحبه نصير الكفر الطوسي على الخليفة العباسي في بغداد، ولم يزل ابن العلقمي يزين للخليفة تسريح أفراد الجيش النظامي الذى كان عدده يزيد على ثلاثمائة ألف فأصبح لا يزيد عن عشرة آلاف شخص عند هجوم التتار على بغداد.

٥– ومنها تلك الفتن والقلاقل الداخلية بين بعض ولاة المسلمين وأمرائهم، حيث كان كل أمير مدينة أو ناحية يغير على من حوله من الولايات أو الإمارات الصغيرة وقد كثرت في ديار المسلمين هذه الولايات الصغيرة المتناحرة وخاصة في بلاد الشام وشمال العراق فضلاً عما اشتهر في الأندلس من دويلات الطوائف وما بعدها من الدويلات الصغيرة والمتناحرة.

هذه من أشهر المحن والرزايا التي ابتلي بها المسلمون خلال هذه القرون المتأخرة، إلا أنه كان مما يخفف من حدتها ظهور تلك المصاولة والمحاولة من فينة لأخرى بين المسلمين وأعدائهم وذلك على أيدي الأئمة والعلماء من أهل السُّنَّة والجماعة.

مسالك العلماء في خدمة السنة بعد القرن الخامس إلى التاسع الهجري:

وقد سلك العلماء بعد هذا القرن الخامس الهجري – في مجال خدمة السُّنَّة المطهرة وعلومها – مسالك شتى في مصنفاتهم ويبرز ذلك من **لم يتم العثور على إدخالات فهرسة.** خلال الأعمال التالية:–

١– العناية التامة بكتب السلف، رواية ودراسة وشرحاً وترجمة لرجالها.

٢– العناية بعلوم الحديث تأليفاً وترتيباً وتهذيباً، وفي هذا القرن كثرت كتب المصطلح المرتبة المهذبة شرحاً ونظماً.

٣– الابتكار في التصنيف والعناية بالترتيب، حيث **ظهرت أنواع جديدة من المصنفات** منها:

أ– إعادة ترتيب كتب السابقين سواء في المتون أو في الرجال ليسهل الانتفاع بها.

ب– كتب اعتنت بجمع أحاديث موضوعات معينة محدودة مثل: كتب الموضوعات وكتب الأحكام وغيرها.

ج– كتب اعتنت بخدمة كتب أخرى أو حوت موضوعات عامة وشاملة مثل: كتب التخريج، وكتب الزوائد وغيرها.

الفصل الأول: كتب في موضوعات خاصة ومحدودة:

١-كتب الموضوعات: الكتب التي تجمع الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ككتاب الموضوعات لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

٢-كتب الزوائد: الكتب التي أفردت للأحاديث الزائدة في كتاب. كمجمع الزائد للهيثمي (٨٠٧هـ).

٣-كتب الأحكام: الكتب التي تجمع أحاديث الأحكام منتقاة من مصادرها كبلوغ المرام لابن حجر (٨٥٢هـ).

٤- كتب الترغيب والترهيب: التي تجمع أحاديث الفضائل والأخلاق كرياض الصالحين للنووي (ت٦٧٦هـ) والترغيب والترهيب للمنذري (ت٦٥٦هـ) وهو من أشمل الكتب، واشتغل عليهما العلامة الألباني رحمه الله..

٥- كتب المستخرجات: تخريج أحاديث كتاب بأسانيد لمصنف المستخرج من غير المؤلف كمستخرج الإسماعيلي.

٦- كتب الأحاديث القدسية: التي فيها الأحاديث الإلهية، وأوسع كتاب فيها: الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية لمحمد المدني (ت ١٢٠٠هـ).

٧-كتب المسلسلات: وأجمع كتاب فيها المناهل السلسة في الأحاديث المسلسلة لعبد الباقي الأيوبي (ت١٣٦٤هـ).

٨- الأجزاء الحديثية: كإكرام الضيف للحربي (ت٢٨٥هـ)، وشأن الدعاء للخطابي(ت٣٨٨هـ).

٩- كتب الفوائد: كفوائد أبي بكر الشافعي(ت٣٥٤هـ) (الغيلانيات)، وفوائد تمام (ت ٤١٤هـ).

١٠- كتب الأمالي: التي يمليها العالم على طلابه ككتاب الأمالي لعبدالرزاق الصنعاني وأمالي المحاملي (٣٣٠هـ).

١١- الكتب الجامعة لعدة كتب: كالجمع بين الصحيحين للحميدي (ت٤٨٨هـ).

١٢-الكتب المنتقاة من كتب الأحاديث المسندة كشرح السنة ومصابيح السنة كلاهما لمحي الدين البغوي (ت٥١٦هـ).

١٣-كتب الأحاديث المتواترة: وأجمعها كتاب: نظم المتناثر من الأحاديث المتواتر لمحمد بن جعفر الكتاني (ت١٣٤٥هـ).

١٤- كتب الأحاديث المشتهرة على الألسنة، وأوسعها كتاب: كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت١١٦٢هـ).

١٥-كتب المشيخات أو المعاجم أو البرنامج أو الثبَت: وهي التي يجمع فيها المحدث أسماء شيوخه، كمعجم الطبراني الأوسط والصغير. وإن ابتدأت وقتا مبكّرا لكن كثر التصنيف في القرن الرابع والخامس ومابعده.

وإليكم نماذج عن بعض أشهر هذه الأنواع مقتصرا على كتب الموضوعات، وكتب الأحكام، وكتب الزوائد، وكتب غريب الحديث.

أولاً:- كتب الموضوعات:

تعريفها: هي الكتب التي تجمع الأحاديث الموضوعة المكذوبة مع بيان وضعها، ومن وضعها غالباً وهي في الغالب مرتبة على الكتب والأبواب.

ومن أشهر المؤلفات: الموضوعات للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) وهو مطبوع.

ثانياً: كتب الأحكام:

تعريفها: هى في اصطلاح المحدثين: الكتب التي اشتملت على أحاديث الأحكام فقط، وهي أحاديث انتقاها مؤلفوا هذه الكتب من المصنفات الحديثية الأصول، ورتبوها على أبواب الفقه.

وهي كثيرة ومن أشهرها ما يلي:

١- الأحكام الكبرى لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلى المعروف بابن الخراط (ت ٥٨١ هـ) ، ويقع في ست مجلدات.

٢- الأحكام الوسطى لعبد الحق الأشبيلي – أيضاً - ويقع في مجلدين، ذكر في خطبتها أن سكوته عن الحديث دليل على صحته.

وقد وضع عليه الحافظ الناقد أبو الحسن علي بن محمد بن القطان (ت ٦٢٨ هـ) كتابه "بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام".

٣- الأحكام الصغرى له أيضاً ذكر في خطبتها أنه تخيرها صحيحة الإسناد معروفة عند النقاد، تقع في مجلد واحد، وعليها شرح لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق (ت ٧٨١ هـ) .

٤- عمدة الأحكام عن سيد الأنام (الصغرى) تأليف تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجمَّاعيلى (ت ٦٠٠ هـ) ، ويقع في جزئين وهو مطبوع، فيه (٤٣٠) حديث، وشرط (العمدة الصغرى) هي الأحاديث المتفق عليها، وله أيضا (العمدة الكبرى) وفيه (٨٥٠) حديثا تقريبا، وقد شرحه الحافظ ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ) في كتابه: "إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام" طبع في مجلدين.

وشرحه بشرح كبير نافع العلامة ابن الملقن رحمه الله في "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام".

وشرحه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله في كتابه "تيسير العلام شرح عمدة الأحكام" وهو مطبوع.

٥- المنتقى من أخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم لمجد الدين ابن تيمية – أيضاً - وهو مختصر من "الأحكام الكبرى" كما نص على ذلك الحافظ ابن رجب في ترجمة المجد من "ذيل طبقات الحنابلة" ، وهو مطبوع.

وقد اعتنى بشرحه كثير من العلماء منهم: الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي (ت ٧٤٤ هـ) ، وكذلك شرحه العلامة سراج الدين عمر بن علي بن الملقن (ت ٨٠٤ هـ) ، لكنه لم يتمه، وشرحه أيضاً أبو

العباس أحمد بن المحسن القاضي الحنبلي (ت ٧٧١ هـ) ولم يتمه أيضاً، ثم شرحه القاضي محمد بن على الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) وسمَّاه: "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" وهو مطبوع اعتمد مؤلفه في شرحه كثيراً على "فتح الباري" في المسائل الفقهية، وعلى "التلخيص الحبير" في تخريج الأحاديث.

٦- المحرر في أحاديث الأحكام للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي المعروف بابن عبد الهادي (ت ٧٤٤ هـ) ، وهو مختصر من كتاب "الإلمام" لابن دقيق العيد وهو مطبوع.

٧- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) ، وهو مطبوع وقد شرحه المؤلف في كتابه "طرح التثريب في شرح التقريب" وتوفي رحمه الله قبل أن يتمه، فأتمَّه ابنه ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت ٨٢٦ هـ)

٨- بلوغ المرام من أحاديث الأحكام للحافظ أبي الفضل شهاب الدين ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) ، وقد جمع فيه المؤلف الأحاديث التي استنبط الفقهاء منها الأحكام الفقهية، مبيناً عقب كل حديث من أخرجه من الأئمة، موضحاً درجة الحديث من حيث الصحة والضعف، مرتباً على الأبواب الفقهية، ثم ضم إليه في آخره قسماً مهماً في أحاديث الآداب والأخلاق والذكر والدعاء، وقد بلغت أحاديثه حوالي (١٥٩٦) حديثاً تقريباً.

وقد شرحه كثيرون منهم: شرف الدين الحسين بن محمد المغربي وهو شرح واسع سمَّاه "بدر التمام".

وكذلك شرحه الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) في كتابه "سبل السلام"، وهو اختصار لكتاب الحسين المغربي. وكذلك شرحه نور الحسين خان بن صديق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ) .

ومن أهم شروح المعاصرين : منحة العلام شرح بلوغ المرام. لفضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن صالح الفوزان حفظه الله تعالى، فهو نفيس جدا ومطبوع في عشر مجلدات.

ثالثاً: كتب غريب الحديث:

وقال الحافظ ابن الصلاح: "غريب الحديث: هو عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها".

ثم قال: "هذا فن مهم يقبح جهله بأهل الحديث خاصة، ثم بأهل العلم عامة، والخوض فيه ليس بالهيّن، والخائض فيه حقيق بالتحرّي جدير بالتوقّي".

من أشهر المصنفات في غريب الحديث:

١- غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) مطبوع في أربع مجلدات.

٢- الفائق في غريب الحديث لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي (ت ٥٣٨ هـ) وهو مطبوع.

٣-" النهاية في غريب الحديث " لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) طبع في خمس مجلدات بتحقيق الدكتور محمود الطناحي رحمه الله.

الفصل الثاني: كتب في موضوعات عامة وشاملة.

أولاً: كتب الأطراف:

تعريفها: هى الكتب التي يقتصر فيها على ذكر طرف الحديث الدالِّ على بقيته مع الجمع لأسانيده، إما على سبيل الاستيعاب، أو على جهة التقيد بكتب مخصوصة كأطراف الصحيحين لأبي مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقى المتوفى سنَة (٤٠١ هـ) .

وأطرافها أيضاً لأبى محمد خلف بن على بن حمدون الواسطى (ت ٤٠١ هـ) .

من أهم كتب الأطراف:

١ – تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ الحجة جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي صاحب "تهذيب الكمال" (ت ٧٤٢ هـ) وهو مطبوع في أربعة عشر مجلداً.

الفوائد التى اشتمل عليها كتاب المزي:

١ – معرفة طرق الحديث عند أصحاب الكتب الستة فيعرف إن كان غريباً أو عزيزاً أو مشهوراً وكذلك تعرف المتابعات والشواهد.

٢- توضيح ما في الأسانيد من المهملات – كسفيان هل هو الثوري أو ابن عيينة، وحماد هل هو: ابن سلمة أو ابن زيد مثلاً – وكذلك المبهمات.

٣- معرفة من أخرج الحديث من أصحاب الدواوين المشهورة ومعرفة موضع تخريجه عند من أخرجه منهم.

٤- اختلاف نسخ الكتب الستة، فكثيراً ما تختلف نسخ البخاري وأبي داود والترمذي بذكر بعض الأحاديث وحذفها والتعليق عليها، فنستفيد من كتاب "الأطراف" للمزى أن هذا الحديث في نسخة فلان وفلان من نسخ البخارى مثلاً، وليس نسخة فلان. وهكذا، وامتازت أطراف المزى على أطراف ابن عساكر بذكر نسخ أبي داود والنسائي وغيرهما، بخلاف ابن عساكر حيث اقتصر على بعض النسخ، فمثلاً اقتصر على نسخة اللؤلؤي لأبي داود.

٢- النكت الظراف على الأطراف للحافظ ابن حجر، وهو عبارة عن بعض التعليقات والاستدراكات على كتاب المزي، وهو مطبوع على هامش المزي.

٣-إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) والكتب العشرة هي:

١- موطأ مالك. ٢- مسند الشافعي. ٣- مسند الإمام أحمد. ٤- مسند الدارمى. ٥- صحيح ابن خزيمة. ٦- صحيح ابن حبان. ٧- منتقى ابن الجارود. ٨- المستدرك للحاكم.٩- مستخرج أبي عوانة. ١٠- شرح معانى

الآثار للطحاوي. ١١- سنن الدارقطني.

وإنما زاد العدد واحداً لأن "صحيح ابن خزيمة" لم يوجد منه سوى قدر ربعه، (أي العبادات) كما نبه على ذلك الحافظ في مقدمة كتابه.

٤- أطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي لابن حجر أيضاً، وقد طبع بتحقيق الدكتور زهير الناصر.

ثانياً: كتب التخريج

تعريف التخريج: هو إخراج المحدِّث الأحاديث من بطون الأجزاء والمشيخات والكتب ونحوها، وسياقها من مرويات نفسه أو بعض شيوخه أو أقرانه ونحو ذلك، والكلام عليها وعزوها لمن رواها من أصحاب الكتب والدواوين.

ويطلق التخريج ويراد به الدلالة على مصادر الحديث الأصلية التي أخرجته، وعزوه إليها، ثم بيان مرتبته من الصحة أو الضعف.

ولا يشك أحد في فائدة التخريج، إذ لا يسوغ لطالب العلم ولا سيما المتخصص في الحديث أن يروي حديثاً إلا بعد معرفة من أخرجه من الأئمة، ومرتبته من الصحة أو عدمها.

تاريخ نشأة التخريج:

لم يكن العلماء في القديم يحتاجون إليه، وخاصة في القرون الخمسة الأولى لِما حباهم الله من الحفظ وسعة الاطلاع على الكتب المسندة التي جمعت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقي الحال على ذلك عدة قرون، حتى ضعُف الحفظ وقلّ الاطلاع على كتب السُّنَّة ومصادرها الأساسية فصعب على كثير من الناس معرفة مواضع الأحاديث التي استشهد بها المصنفون في علوم الشريعة وغيرها كالفقه والتفسير والتاريخ والسير.

عند ذلك نهض بعض العلماء لتخريج أحاديث بعض الكتب المصنفة في غير الحديث كالفقه والتفسير وغيرها، وعزو تلك الأحاديث إلى مصادرها من كتب السُّنَّة الأساسية، وذكروا طرقها وتكلموا على أسانيدها ومتونها بالتصحيح والتضعيف حسب ما تقتضيه القواعد، وعند ذلك ظهر ما يسمى بكتب التخريج، وكان من أوائل تلك الكتب: الكتب التي خرَّج الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) أحاديثها. ومن أشهرها:

١- نصب الراية لأحاديث الهداية للمرغيناني تأليف عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ) مطبوع.

٢- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للرافعي تصنيف سراج الدين عمر بن علي بن الملقن (ت ٨٠٤ هـ).

٣- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في إحياء علوم الدين من الأخبار تأليف الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى (ت ٨٠٦ هـ) وهو مطبوع بهامش الإحياء.

٤- التلخيص الحبير تخريج أحاديث الوجيز الكبير للرافعي. تصنيف الحافظ ابن حجر، وهو مطبوع.

٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل تخريج الشيخ ناصر الدين الألباني.رحمهم الله أجمعين.

ثالثاً: كتب الزوائد

تعريف كتب الزوائد : هي الكتب أو المصنفات التي تُعنى بجمع زوائد كتب معينة كالمسانيد والمعاجم على كتب مخصوصة من أمهات كتب الحديث كالكتب الستة ومسند أحمد وصحيح ابن حبان وغيرهما.

أهمية كتب الزوائد وفوائدها:

١- إن هذه الكتب تكوِّن موسوعة حديثية إذا ضُمّ بعضها إلى بعض.

٢- إن هذه الزوائد تفيد في معرفة المتابعات والشواهد والوقوف على طرق بعض الأحاديث التي لولا كتب الزوائد لما تمكنا من معرفتها إما لضياع أصولها أو لصعوبة الوصول إليها.

من هو صاحب فكرة الزوائد؟

يعتبر الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة (٨٠٦ هـ) هو صاحب فكرة جمع الزوائد ومبتكرها، وإن كان لم يؤلف في ذلك شيئاً فيما أعلم ، لكنه أشار بذلك على تلاميذه الثلاثة الذين تكونت منهم – ومن أقرانهم – المدرسة الحديثية في أواخر القرن الثامن ومطلع القرن التاسع وهم:

١- الحافظ أبو بكر نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) .

٢- الحافظ شهاب الدين أبو العباس البوصيري (ت ٨٤٠ هـ) .

٣- الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) .

ويعتبر الحافظ الهيثمي أسبق الثلاثة إلى التصنيف في هذا الفن بإشارة شيخه العراقي وقد بدأ ذلك بزوائد "مسند الإمام أحمد" ثم أبي يعلى فالبزار ثم "معاجم الطبراني الثلاثة" جميعها على الكتب الستة المشهورة.

من أهم المؤلفات في الزوائد:

١- مجمع البحرين في زوائد المعجمين – الصغير والأوسط – للطبراني ، تأليف الهيثمي – أيضاً- وهذه المراد بها الزوائد على ما في الكتب الستة.

ثم جمع الهيثمى بإشارة من شيخه العراقي — أيضاً – زوائد هذه الكتب الستة – المسانيد والمعجم – في كتاب واحد محذوف الأسانيد سمَّاه:

٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وهو مطبوع في عشرة أجزاء.

٣- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي، مطبوع.

٤- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمى، حقق جزء منه في الجامعة الإسلامية بالمدينة.

٥- المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر، طبع في أربع مجلدات.

٦- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ البوصير ى (ت ٨٤٠ هـ) .

٧- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه على الخمسة، للبوصيري – أيضاً –.

مقارنة بين ثلاثة كتب من أهم كتب الزوائد:

الأول: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) .

١- جمع فيه زوائد ستة كتب – هى مسند أحمد والبزار وأبي يعلى ومعاجم الطبراني الثلاثة – على الكتب الستة المعروفة.

٢- حذف المؤلف الأسانيد اختصاراً لئلا يطول الكتاب.

٣- رتبه – رحمه الله – على الأبواب ترتيباً جديداً بدأه بكتاب الإيمان وختمه بصفة الجنة.

٤- يشرح الغريب الوارد في المتون أحياناً.

٥- يتكلم على الأحاديث بما يقتضيه حالها صحة وضعفاً، وقد بيَّن منهجه في ذلك في المقدمة .

الثاني: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر.

١-جمع فيه الحافظ ما زاد من الأحاديث في هذه المسانيد على ما في الأمهات الستة ومسند أحمد.

٢- رتبه على الكتب والأبواب الفقهية كما فعل الهيثمى في مجمع الزوائد.

٣- يذكر الأحاديث بأسانيدها من أصحابها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- يحكم المؤلف على الأحاديث أو على أسانيدها أحياناً.

٥- يشرح الكلمات الغريبة أحياناً.

٦- قد يصحح غلطاً أو وهماً في الأسانيد، حصل بسبب النساخ.

٧- إنه ضم إلى الكتب الستة مسند الإمام أحمد فلم يخرج ما فيه.

٨- ذكر المؤلف – رحمه الله – شرطه في مقدمة كتابه فقال: "وشرطي فيه ذكر كل حديث ورد عن صحابي لم يخرجه أصحاب الأصول السبعة من حديثه ولو أخرجوه أو بعضهم من حديث غيره مع التنبيه عليه أحياناً".

الثالث: كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ البوصيري:

١- المسانيد التي اشتمل على زوائدها هذا الكتاب هى: المسانيد الثمانية المذكورة في المطالب العاليه للحافظ ابن حجر، مضافاً اليها: ١- مسند إسحاق بن راهويه، ٢- مسند أبي يعلى الموصلي الكبير.

٢- رتبه المؤلف – رحمه الله – على الكتب والأبواب، وترتيبه أقرب إلى ترتيب الهيثمي من ترتيب الحافظ ابن حجر.

٣- يذكر الأحاديث مسندة كما صنع الحافظ ابن حجر.
٤- يتكلم على الأحاديث وأسانيدها بما يقتضيه حالها من صحة أو ضعف أو وصل أو انقطاع، وذلك غالباً.

٤- إذا كان في الأسانيد مدلس أو مختلط أو ضعيف يبينه غالباً.
٥- يُكثِر من التخريج من الكتب التي ذكرها في مقدمته غير المسانيد العشرة، ومن غيرها أيضاً، وهذه الميزة امتاز بها كتابه عن سابقيه.
٦- يكثر من شرح الغريب.
٧- اقتصر على ذكر زوائد المسانيد العشرة على الكتب الستة دون مسند أحمد.
٨- يظهر من بعض النصوص أنه ألف كتابه بعد تأليف الحافظ لكتاب "المطالب العالية" إذ كثيراً ما يحيل عليه، والله أعلم.

رابعاً: كتب الجوامع:

تعريفها:

ما يوجد فيه جميع أقسام الحديث: أي أنه يضم أحاديث العقائد، وأحاديت الأحكام، وأحاديث الرقائق، وأحاديث الآداب، والأحاديث المتعلقة بالتفسير، والأحاديث المتعلقة بالتاريخ والسير، وأحاديث الفتن والملاحم، وأحاديث المناقب والفضائل .

أما المراد هنا فهو: تلك الكتب التي قصد مصنفوها جمع الأحاديث النبويَّة فيها مطلقاً -كالجامع الكبير وكذلك الصغير للسيوطي - أو جمع أحاديث كتب مخصصة -كجامع الأصول لابن الأثير للكتب الستة ،وجامع المسانيد لابن كثير للكتب العشرة.

من أهم كتب الجوامع:

١-جامع الأصول لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للحافظ مجد الدين أبي السعادات ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) وقد سبق الكلام عنه في الكتب التي جمعت الكتب الستة كلها أو بعضها.
٢- جامع المسانيد للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقي المفسر المؤرخ (ت ٧٧٤ هـ) ، وهو كتاب عظيم جمع فيه مؤلفه أحاديث الكتب العشرة — وهي الستة، ومسند الإمام أحمد، ومسند البزار، ومسند أبي يعلى الموصلي، والمعجم الكبير للطبراني.
٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمى (ت ٨٠٧ هـ) وتقدم الكلام عليه في كتب الزوائد.
٤- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ البوصيري (ت ٨٤٠ هـ) وسبق الكلام عنه في كتب الزوائد.

٥- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ).

٦- الجامع الكبير المعروف بجمع الجوامع للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) .

٧- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ السيوطي أيضاً.

٨- زيادة الجامع الصغيرللسيوطي أيضاً.

قال في خطبة هذه الزيادات: "هذا ذيل على كتابي المسمى بـ "الجامع الصغير من حديث البشير الذير" وسمَّيته: "زيادة الجامع"، رمزه كرموزه، والترتيب كالترتيب".

٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي ابن حسام الدين عبد الملك قاضي خان الهندى الشهير بالمتقي، المتوفى بمكة سنة (٩٨٥ هـ) .

وهو ترتيب لكتب السيوطي الثلاثة – الكبير والصغير وزيادته – على الأبواب الفقهية.

الفنون المساعدة في خدمة متون السنة النبوية

١-كتب الأطراف: الكتب التي يذكر فيها طرف الحديث الدالّ على باقيه كتحفة الأشراف للمزي (ت٧٤٢هـ)

٢-كتب التخريج : ومن أهمها نصب الراية للزيلعي (ت٧٦٢هـ) والتلخيص الحبير لابن حجر (ت٨٥٢هـ).

٣-كتب غريب الحديث. ومن أهمها النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت٦٠٦هـ).

٤-كتب مختلف الحديث كتأويل مختلف الحديث لابن قُتيبة الديْنَوَرِيّ (ت٢٧٦هـ) .

٥-شروح الحديث وهي كثيرة جدا ومن أهمها وأشهرها: التمهيد لابن عبدالبرِّ (٤٦٣هـ) وشرح صحيح مسلم المسمَّى: بالمنهاج في شرح صيح مسلم بن الحجاج للنووي (ت٦٧٦هـ).

الخاتمة:

فمن أهم ما خرجت به من النتائج في هذا البحث:

أولاً: التفريق بين التدوين الذي يعني: تقييد المتفرق وجمع المشتت في ديوان، وبين التصنيف الذى هو تصنيف الكتب مرتبة على الفصول والأبواب، وبذلك يزول الإشكال حول بداية تدوين الحديث.

ثانياً: إثبات أن كتابة الحديث كانت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة وكبار التابعين، وإن ما ورد من كراهة ذلك أو النهي عنه إما أنه لا يصح، وإما أنه محمول على أسباب ثم زالت، وهاتان النتيجتان قد جلاَّهما بوضوح الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) في كتابه الموسوم بـ "تقييد العلم".

ثالثاً: أن القرآن والسُّنَّة في مرتبة واحدة من حيث الحجية والاعتبار في إثبات الأحكام الشرعية، ولا نزاع أن القرآن يمتاز عنها ويفضلها بأن لفظه منزل من عند الله تعالى، متعبد بتلاوته، معجز للبشر عن أن يأتوا بمثله.

رابعاً: إن كلما تعلق به أصحاب الأهواء والفرق المخالفون لأهل السُّنَّة والجماعة من شكوك أو شبهات لا يخرج عن:

١– معارضة السُّنَّة بعقولهم القاصرة الناقصة المتناقضة.

٢– أو الطعن في رواة السُّنَّة بالهوى والبهتان.

٣– الكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقول على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بغير علم.

خامساً: إن جهود العلماء في خدمة السُّنَّة طوال القرون التسعة الأولى كانت تتسم بما يلى:

١– الجِدّ في حفظ السُّنَّة ونشرها في الأمة في كل عصر بحسب إمكانياته.

٢– الجِدّة والابتكار في مجالات خدمة السُّنَّة في كل عصر.

٣– التكامل فبعضها يكمل بعضاً.

سادساً: إن علماء أهل السُّنَّة والجماعة في كل عصر كانوا هم المنقذ للأمة – بعد الله – مما تردَّت فيه من البدع والخرافات والانحراف عن منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك نعلم أن سبب ما حل بالأمة الإسلامية اليوم من المحن والانحرافات هو الجهل بسنة نبيها صلى الله عليه وسلم والبعد عن منهجه صلى الله عليه وسلم الذي كان عليه هو وأصحابه، وسار عليه سلف الأمة فيما مضى، وأنها لا تنهض اليوم من كبوتها وتستيقظ من غفلتها إلا على يد علماء السُّنَّة العارفين بمنهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه السائرين عليه والفاهمين له.

سابعاً: إن نواة تأسيس موسوعة حديثية شاملة قد بدأت على يد علماء السُّنَّة النبوية منذ ألفت كتب الجمع بين

الصحيحين، ثم الجمع بين الكتب الستة، ثم كتب الأطراف، وكتب الزوائد، ثم أخيراً كتب الجوامع، كـ "الجامع الصغير" و "الجامع الكبير" كلاهما للسيوطي (ت ٩١١ هـ) .

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الاختبار الشامل لمادة تدوين السنة النبوية

١. عرف التدوين والتصنيف والفرق بينهما؟ ومن أول من دوّن السنة النبوية؟

٢. عرف السنة باصطلاحاتها؟ بادئا باصطلاح المحدثين، وما أنواعها؟ واذكر نموذجين من عناية الصحابة ونموذجين من عناية التابعين للسنة؟.

٣. ماهي أسباب امتناع بعض التابعين عن كتابة الحديث؟

٤. من معالم عناية السلف بالسنة الرحلة في طلب العلم، تكلم عن دليلها، وأثرين في شأنها عند المحدثين.

٥. اذكر أهم جهود الأعداء في محاربة السنة، كـ(نقاط)مع الرد عليها بإيجاز.

٦. كيف الجمع بين الأدلة الناهية عن كتابة السنة النبوية، مع الأدلة التي تجوّز كتابتها؟

٧. ماقيمة كتاب "تقييد العلم" في هذا الباب ؟ ولمن الكتاب؟ وما أهم نتائجه التي توصّل إليها؟.

٨. عرف بأربعة من أشهر الصحف التي كتبها الصحابة، وأربعة كتبها التابعون لهم بإحسان.

٩. ما هو جيل التأسيس لعلوم السنة المطهرة؟ وما هو العصر الذهبيّ لها؟

١٠. ما هي عناوين مصنفات علماء القرن الثاني؟ وعلماء القرن الثالث؟

١١. عرف بكتاب الموطإ من خلال مؤلفه،واسمه،وموضوعه،وعدده،ومرتبته،وأهم شروحه، والفرق بينها.

١٢. اذكر مميّزات التدوين في القرن الثالث.مع التعريف بكتب المسانيد،وطرق ترتيبها،وأهمها.

١٣. تكلم عن مسند أحمد من خلال طريقة ترتيبه،ومكانته،وعدده،وشرطه، ودرجته،وأقسامه،وعناية العلماء به.

١٤. عرف بالكتب الستة، مؤلفيها،وخصائصها،وأهم شروحها.

١٥. تحدث عن مجالات العناية بالسنة في القرن الرابع والخامس. وقد ظهر في كل منهما نوعان جديدان ما هما؟

١٦. عرف بصحيح ابن خزيمة وابن حبان ومستدرك الحاكم وما الذي يجمعها؟.

١٧. عرف بجميع ما يأتي واذكر له كتابين: المستخرجات ،والجمع بين الصحيحين، وبين الستة،والموضوعات،والأحكام،وغريب الحديث، والترغيب والترهيب، والأطراف، والتخريج، والزوائد، والجوامع.